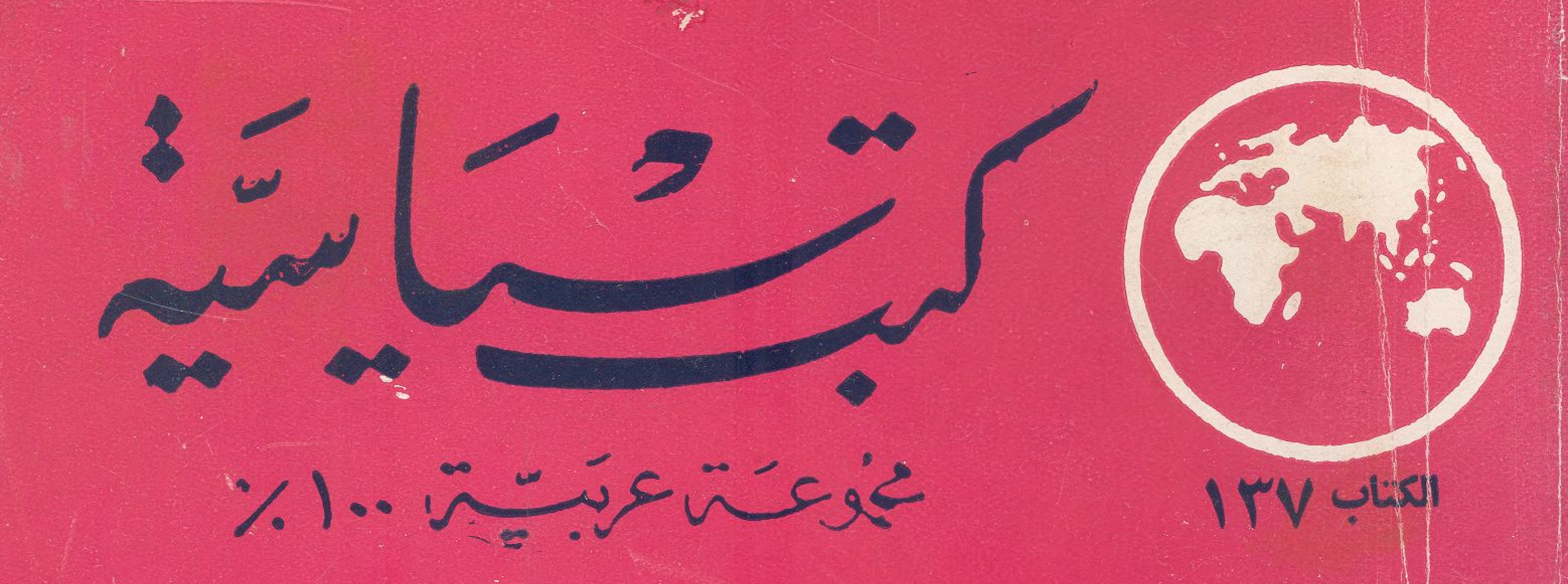


كتب سياسية

مجموعة عربية ١٠٠٪

الكتاب ١٣٧

سقوط إيدن

Randolph CHURCHILL

The rise and fall of SIR ANTHONY Eden

بقلم

ونستون تشرشل

«الابن»

كتب سياسية

الكتاب ١٣٧

سقوط ايدن

مع مقدمة بقلم
الزعيم العمالي أتلى

بقلم

ونستون تشرشل
« الابن »

مقدمة

نقدم اليوم للقارىء العربى تلخيصا وافيا لكتاب ((سقوط ايدن)) لمؤلفه النائب المحافظ راندولف ونستون تشرشل نجل السير ونستون تشرشل السياسى البريطانى العجوز الذى لعب دورا كبيرا فى توجيه السياسة البريطانية .. ومؤلفنا من النواب البارزين فى حزب المحافظين ومن المشتغلين بالصحافة ، قد اضطلع على أدق الاسرار وعاش فى مأساة حرب السويس،وبهذا يعطينا صورة صادقة لتواطؤ بريطانيا مع الدولتين الاخريين فى الاعتداء .

وقد راعينا فى تقديم التلخيص الدقة التامة فى سرد الحقائق التى وردت بالكتاب وتكشف بوضوح مدى بشاعة تلك الجريمة التى ساهمت فيها بريطانيا ، واننا لا نقصد مطلقا أن نسرد للقارىء جانب من حياة ايدن لاننا لا نعتقد أن فى حياة هذا السياسى المنهار ما يثير اهتمام القارىء العربى فى هذه الايام ولكن الاحداث العالمية والاسرار والمناورات السياسية التى اقترنت باسم ايدن فى مسرح السياسة الدولية هى التى تجذب اهتمام القراء العرب ليعرفوا الى اى مدى يتحالف الاستعمار مع الصهيونية ضد العرب وعلى وجه الخصوص مأساة السويس الفاشلة التى أظهرت للعالم أجمع هذا التواطؤ الذى جلب الخزى والعار للدول التى اشتركت فى هذا العدوان الفاشل .

كتب سياسية

ايدن .. هل كان ضعيفا ؟

يقول لنا السيد رندولف تشرشل بأنه قرر وضع كتاب عن أتتونى ايدن قبل تأميم قناة السويس جاعلا من حياته قصة نجاح بسيطة . الا أنه سرعان ما انقلبت بعد ذلك حياة هذا الرجل الى مأساة عاتية اثر قيام السياسى الموفق بمغامرة قناة السويس التى أدت الى انهياره سياسيا ثم الى مرضه وبالتالى الى انسحابه من ميدان العمل بعد الفشل الذريع الذى لحق ببريطانيا على يد ايدن ويقول لنا تشرشل بأن حملة قناة السويس أثرت على طريقة سرده لحياة ايدن ، فهل كانت تلك القصة ياترى تختلف لو لم تقع هذه الحادثة ؟ لا أظن ذلك ، لانه يظهر لنا بأن الكاتب قد كون لنفسه حتى قبل تأميم القناة بمدة طويلة رأيا راسخا من أن طفل والده صاحب العيون الزرقاء — أى ايدن — لا يتمتع بالشخصيةاللازمة لاحتلال المنصب الكبير الذى وضعته فيه الظروف . ويضرب لنا المؤلف مثلا عن شخصية ايدن فيذكر أول خطاب ألقاه فى مجلس العموم قائلا بأنه خطاب قوى لان السيد ايدن كتبه بنفسه وذلك بخلاف الخطب الذى أخذ يلقيها بعد ذلك والتى كان يدع الغير يكتبونها له ، فأتت جافة مملة لاجديد فيها ، وينتقل المؤلف بعد ذلك ليتكلم لنا عن نقائص ايدن ، خاصة فى المقطع الذى يقول فيه بأن ايدن ترقىّ فى مناصب الدولة لخنوعه التام وسيره فى ركاب السيد بالدوين أحد رؤساء الوزارة السابقين . ويحاول رندولف

تشرشل اتهام انطونى ايدن بالموافقة على سياسة التخـاذل التى اتخذها تشمبرلن تجاه هتلر قبل الحرب ، والبرهان الذى يعطيه على ذلك هو التباطؤ فى استقالته من وزارة تشمبرلن . ويقول لنا بأن والده ونستون تشرشل استبقى ايدن فى الوزارة اثر نجـاح زيارته الى القاهرة سنة ١٩٤٠ ظنا منه بأن هذا الرجل أكبر مما هو عليه بالحقيقة . لكن ذلك ليس بصحيح لان ولستون تشرشل رشح ايدن فيما بعد لخلافته وقبل الحزب ذلك . وينتقل تشرشل الابن للكلام عن مدة حكم أنطونى ايدن القصيرة الآن . فيهاجمه أولا لعدم تعديله وزارة حزب المحافظين مما يجعلنا نظن بأنوزارة تشرشل السابقة كانت فى رأى ابنه خليطا غير متناسب وانه كان على ايدن استشارة مؤلفنا هذا حول تعديلها ، كما أنه من الشيق لنا السماع من هذا المؤلف المحافظ أن الاوضاع الاقتصادية فى بريطانيا تزداد سوءا منذ أربع سنين ، اذ أن ذلك مغاير تماما لمـا تشدق به أعضاء حزبه . أما من ناحية اقالة جلوب باشا المعروف بأبى حنيك فى الاردن فيعتقــد المؤلف بأنه كان لزاما على ايدن مجابهتها بالكثير من الحزم على الرغم من أن جلوب نفسه نصح بالاعتدال . وينتهى الكتاب بتحليل حملة قناة الســويس ، وانى لأشعر هنا بأن المؤلف على حق فى انتقادهأعمالالحكومةوسياستها وقد قيل لى بأن وصف تشرشل الصغير لكل صغيرة وكبيرة فى حملة العدوان الثلاثى كان صحيحا الى حد بعيد . لكننىلمأتمكن

الان من تفهم الاسباب التى حدت بالسيد ايدن لاتبـاع هـذه السياسة المغايرة لجميع الاسس التى بنى عليها سمعتهالسياسية.. السيد تشرشل مع الاسف لا يفسر لنا ذلك وان كان وصفهلتلك السياسة دقيقا .. فقد قال المؤلف فى سياق عرضه للاحداث قبل الحرب مباشرة أن الوزارة البريطانية كلها مسئولة عن سـير الامور آنذاك . أى أن ايدن اشترك فى المسئولية مع تشمبرلين وغيره من جميع أعضاء الحزب فى الاخطاء التى وقعت ، وعليـه فان السيد ماكميلان وغيره مسئولين أيضا مع ايدن بالنسـبة لحملة قناة السويس ، الا أن ونستون تشرشل لايقول بذلك ، وبالفعل فقد رشح نفسه للانتخابات النيابية كنصير مخلص للسيد ماكميلان .

آتلى

« جريدة الاوبزرفر »

ايدن .. ارتفاعه وسقوطه

بدأ ايدن حياته السياسية ببطء فقد ارتقى السلم درجةدرجة ولم يحدث مطلقا أن قام بمجازفة أو مغامرة تستحق الذكر سوى حماقة السويس التى أدت الى نهاية ايدن سياسيا . ولكنه تميز منذ صغره بأنه ذو مستقبل حسن واكتسب ثقة رؤسائه بطاعتـه ومسايرته لهم.. انتخب فى سنة ١٩٢٣ نائبـا فى مجلس العموم

البريطانى وهو فى السادسة والعشرين من عمـره ، ولم يلبث أن أصبح السكرتير البرلمانى الخاص للسير أوستين تشامبرلن ــ الذى كان وزيرا للخارجية البريطانية آنئذ فى وزارة المستر «بولدوين» المحافظة .

وكان هذا المنصب السياسى الذى تولاه لاول مرة ، ذا تأثير كبير فى حياته ، باستثناء فترة قصيرة من الوقت تولى خلالهـــا وزارة المستعمرات . ووزاررة الحربية فى عام ١٩٣٩ ـــ ١٩٤٠ ، فقد انحصر اهتمام ايدن ونشاطه كلية فى وزارة الخارجية . وتولى ايدن فى بادىء الامر منصب وكيل وزارة الخارجية ثم منصب وزير « شئون عصبة الامم » وبعد ذلك أصبح وزيرا للخارجية عام ١٩٣٥ اثر طرد السير صمويل هور من هذا المنصب ، وكان ايدن فى الثامنة والثلاثين من عمره فى ذلك الحين . وعندما تسلم وزارة الخارجية كان ايدن قد اكتسب اعجاب الجماهير وتعلقهم بشخصيتـــه . لملامحه الوسيمة وابتسامته الساحرة وهندامه الانيـق ، كما أن تعلقه الواضح بقضية « عصبة الامم » اكسبته سمعة طيبة جدا بين الشعب بأحزابه المختلفة محافظين وعمال وأحرار . فقد بدا واضحا أن نجما جديدا قد ولد فى عالم السياسة ــ نجما لامعــا براقا ــ وكان المستر بولدوين رئيس الوزارة البريطانية المحافظة قد كسب المعركة الانتخابية عام ١٩٣٥ على أساس تأييد « عصبة الامم » ومعارضته سياسة موسولينى الاستعمارية التوسعية ..

وكان موسوليني يشن آنئذ حربه الاستعمارية العدوانية في الحبشة الا أن الامور سارت على العكس بعد ذلك فاستقال بولدوين من رياسة الوزارة وتولى الرئاسة « نيفيل تشامبرلن » الذى شجع وزير خارجيته على الدخول في مفاوضات مع السكونت غراندى السفير الايطالي في لندن . وتطورت العلاقات ــ التي لم تكن على ما يرام ــ بين تشامبرلن وبين ايدن عندما حصل النزاع بينهما بخصوص المفاوضات مع ايطاليا ، فقدم ايدن استقالته . وقد فرح ايدن في الواقع لترك ايدن منصبه . وزادت هذه الاستقالة من شهرة ايدن وتعلق الناس به . فقد أعجبت الامة بعمل هذا الشاب الناشيء الذى قامر بمستقبله السياسي من أجل المحافظة على مبدئه ولقد أجمع كل من أتيحت لهم الفرصة لدراسة ايدن في عمله على مقدرته الفائقة في المفاوضات الدبلوماسية ، وقد أظهر هذه الموهبة التي كان يتحلى بها ، في المؤتمرات الدولية الكثيرة .

وجدير بالذكر أن الرئيس الامريكي ولسن قد دعا الى مبادئه الاربعة عشر المشهورة التي أعلنها عقب الحرب العالمية الاولى الى اتباع سياسة « المواثيق العلنية ونبذ الاتفاقات السرية » ، ولكن كان ايدن يدعو الى المفاوضات السرية لعقد الاتفاقات وقد اقتنعت وزارة الخارجية الامريكية أثناء الحرب بهذه الفكرة وهذا النمط من السياسة السرية .

ايدن يحافظ على أسرار حياته : ولقد ترك ايدن كلية «ايتون» الشهيرة ليلتحق بالجيش ، وبعد الحرب الاولى وعندما كان ايدن رجلا ناضجا اكتسب خبرة الحرب ، التحق بجامعة أكسفورد . وقد حكم عليه زملاؤه فى الدراسة . بأنه كان الى حد ما محبا للعزلة . وكان أيامها مع زمرة قليلة من الاصدقاء لهم ميول فنية ، ولم يكن نشيطا فى ميدان الرياضة فيما عدا لعبة التنس ، وانما كان يكرس معظم وقته للدراسة . وقد اختار مدرسة اللغات الشرقية ونال شهادة البكالوريوس ، وقد شملت دراسته اللغات العربية والفارسية والسنسكرتية . وانصرف ايدن فى شبابه كلية الى عمله السياسى الذى اختاره وكان يعمل بجد بالغ . وكان يقضى معظم ساعات راحته وفراغه فى العمل فى حديقته التى كان يعرف الكثير عن الازهار بها . وكان اشتغال ايدن بالحديقة يريح ذهنه من عناء التفكير فى السياسة وكان ايدن كثير المطالعة ويحفظ الكثير من شعر شكسبير . وقد قيل عنه أن أصدقاءه قليلون وفى هذا القول دلالته . فلم يكن ايدن رجل الندية ، ويندر أن شوهد فى غرفة التدخين فى مجلس العموم ، وانما كان يفضل دائما صحبة الفتيات والنساء والشبان الصغار من غير أبناء جيله على أقرانه وأنداده وزملائه .

* * *

من اكسفورد لمجلس العموم

تطوع ايدن في الجيش عام ١٩١٥ برتبة ضابط في الكتيبة ٢١ من لواء البنادق الملكي وعبرت الكتيبة المانش الى فرنسا في مايو سنة ١٩١٦ حيث اشتركت في العمليات الحربية ونالت سمعة عالية لمقدرتها في القتال . وعندما سرح ايدن من الخدمة سنة ١٩١٩ لم يكن متأكدا من مستقبله بعد . ولكن بناء على نصيحة والدته ذهب الى جامعة اكسفورد . وفي صيف سنة١٩٢٢ تخرج ايدن من جامعة آكسفورد وفي نوفمبر من نفس السنة رأيناه يخوض معركة الانتخابات البرلمانية الاولى . وخاض ايدن معركة الانتخابات للمرة الثانية عن دائرة ورويك لمنجتون الانتخابية وفاز فيها على منافسه مرشح حزب الاحرار .

رسالة حمراء دعمت المحافظين

ومن الاسباب الهامة التي جعلت المحافظين يفوزون فوزا كاسحا في هذه الانتخابات ، أن جريدة « الديلي ميل » قامت أثناء احتدام المعركة بنشر رسالة موجهة من رئيس المجلس الاعلى للشيوعية الدولية،الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البريطاني يدعوه فيها الى « تهييج جماهير البروليتاريا العاطلين ، على مطالبة الحكومة بتوقيع المعاهدة البريطانية السوفييتية ، التي كانت حكومة العمال آنئذ تجري مفاوضات بشأنها » وبعد نشر هذه

الرسالة الحمراء فى الديلى ميل أصبح مفهوما لدى الجميع أن الخارجية البريطانية كانت قد حصلت على نسخة من هذه الرسالة قبل مرور تسعة أيام وأغفلت اطلاع الرأى العام عليها ، وبذلك تعرضت الحكومة العمالية لضغط مضاد عنيف من الرأى العام . وأصبح من المعروف أن سياسة الحكومة العمالية تسير وفق رغبة العمال الشيوعيين بعد نشر هذه الوثيقة . وقد وجدنا ايدن بعد ذلك يدرك هذه الحقيقة ويضعها نصب عينيه وهى أن التقــدم والارتقاء انما يتم بتقديم الخدمات للحزب وللحكومة وليس بقوة شخصيته وأفكاره فى مجال الحياة النيابية . وعندما تولى ايدن منصب السكرتير البرلمانى الخاص لوزير الخارجية صار بامكانه الاطلاع على تلغرافات الوزارة ، كما تمكن من مرافقـــة وزير الخارجية لحضور المؤتمرات الدولية التى عقدت فى تلك الفترة . وكان ذلك بالنسبة لايدن تدريبا عمليا له قيمته الكبيرة فى المستقبل، فقد حصل على خبرة قيمة مكنته فيما بعد من اظهار موهبته فى حقل الدبلوماسية والمفاوضات .

وفى الانتخابات العامة التى جرت فى بريطانيــا عام ١٩٢٩ ، أصيب المحافظون بهزيمة نكراء ، وفاز العمـــال بالاكثرية فى المجلس . الا أن ايدن فاز فى هذه المرة أيضا عن دائرته الانتخابية، وأبدى نشاطه فى المجلس هذه الفترة فى صفوف المعارضة . وفى

أواخر ديسمبر من نفس السنة عالج فى المجلس موضوعى العلاقات الانجليزية الروسية والمعاهدة المصرية الانجليزية .

تدهو قوة بريطانيا جرها الى الحرب العالمية الثانية

خلال عام ١٩٣١ ، تعرضت انجلترا لأسوأ أزمة مالية حلت بها فى تاريخها . وشكلت لجنة لمعالجة هذه الازمة الخطيرة فأوصت اللجنة بضرورة الاقتصاد فى النفقات العامة ليتسنى توفير ٩٦ مليون جنيه ، وكذلك زيادة الضرائب بمقدار ٢٤ مليون جنيه لمواجهة الخطر الجذرى الذى يهدد ميزانية بريطانيا وبالتالى تجارتها فى الخارج . وكان رد الفعل واضحا جليا فى الداخل والخارج ، فأخذ المستثمرون الاجانب يسحبون رؤوس أموالهم وكثر سحب الاجانب لارصدتهم الذهبية . وبدأت قيمة الجنيه الاسترلينى تتدهور بشكل ملحوظ وأشرفت بريطانيا على كارثة اقتصادية سحيقة العمق . فاستدعى ماكدونالد ــ رئيس الوزراء ــ زعيمى المعارضة ــ بولدوين وصمويل ــ من اجازتهما ، وطلب تأييدهما فى ايجاد حل للازمة . وشكلت الوزارة القومية الجديدة برئاسة ماكدونالد ، وكانت تتألف من أربعة وزراء محافظين ومثلهم من العمال وأثنان من الاحرار ، ونشطت الحكومة فى مواجهة الازمة المالية ، ثم أقدمت الحكومة على حل البرلمان وعمل استفتاء شعبى فى انتخابات جديدة بخصوص السياسة التى كانت تشرع فى اتباعها . وتشكلت الحكومة الجديدة بعد الانتخابات بتغييرات

خليفة عن الحكومة السابقة وبقى ايدن فى منصبه السابق وزير دولة للشئون الخارجية . وكان يتولى سيمون وزارة الخارجية ، ايذانا ببدء عهد جديد ، تميز بتدهور نفوذ وتأثير بريطانيا فى المحيط الدولى . وقد أسهم وزراء الخارجية ـ سيمون وهوار وايدن وهاليفاكس ـ الذين تولوا هذا المركز فى هذه الفترة الدقيقة من تاريخ العالم بنصيب وافر فى تدهور مركز بريطانيا الذى انتهى بجرها الى حرب عالمية ثانية . . .

فشل عصبة الامم فى انقاذ الموقف

وانني أعتقد أنه قد حان الوقت لنذكر القارىء ، أننا لاننوى أن نوغل به فى « المؤتمرات المتشعبة » لابحاث عصبة الامم فى جنيف . ويكفى أن نذكر الآن ، أن أهم عامل من عوامل فشل العصبة كان « تركيزها » ـ دون جدوى طبعا ـ على موضوع نزع السلاح . ولو أن العصبة وضعت عشر الجهود التى بذلتها فى هذا الموضوع العقيم ، فى التدبير فى الوسائل التى يمكن العصبة بها وقف أوعرقلة أعمال المعتدين، لكان من الممكن أن يتجنب العالم ويلات الحرب العالمية الثانية ، وكان الوضع الدولى العام فى تلك الاثناء يزداد سوءا ، فقد كانت العصبة تحاول دون جدوى معالجة الغزو اليابانى للصين ، كما أن مؤتمر نزع السلاح كان يتابع جلساته العقيمة ، وتسلم هتلر زمام السلطة فى ألمانيا وأعلن

انسحاب بلاده من عصبة الامم ، فى هذه الظروف الدولية ، وتقرر أن يقوم ايدن برحلة فى أوربا ، يزور خلالها باريس وبرلين وروما وكانت المهمة التى عهد بها الى ايدن ، هى احياء موضوع نزع السلاح ، وفق المشروع الذى وضعه ماكدونالد ، ولم تكن هناك نقطة معينة ، أو جدول أعمال معد ، للمباحثات التى كان سيجريها ، ولذلك لم تحقق رحلة ايدن أية نتائج ايجابية ، فيما عدا تبادل وجهات النظر المختلفة .

وفى الرابع من مارس سنة ١٩٣٥ ، نشرت الحكومة البريطانية كتابا أبيض يتعلق بشئون الدفاع ، احتجت فيه بشدة على التسلح الالمانى ، والذى من شأنه أن يزيد من قلق الدول المجاورة لالمانيا ، اذا استمر على شكله الحالى ، دون أية رقابة ، كما أنه يمكن أن يهدد السلم العالمى . وبعد يومين من اذاعة هذا الكتاب ، ابلغت المانيا الحكومة البريطانية أن هتلر مريض ولذلك فسوف تؤجل زيارة السير جون سيمون الذى كان يزمع القيام برحلة لزيارة ألمانيا . والواقع أن هتلر غضب من البيان الانجليزى وعمل على تأجيل زيارة وزير الخارجية البريطانية .

وفى ١١ مارس ١٩٣٥ ، جرت فى مجلس العموم البريطانى مناقشة السياسة الدفاعية للحكومة ، وقد خفف فيها المستر بولدوين من حدة ما جاء فى الكتاب الابيض . وأوضح أن ما جاء فيه

بحصوص ألمانيا ، لم يقصد منه القاء اللوم على ألمانيا فقط فى التسابق بالتسلح ، ورضى هتلر عندما تناهى اليه ما جرى فى المناقشة فى مجلس العموم البريطانى ، وأعلن عن استعداده لاستقبال السير جون سيمون فى برلين بكل سرور فى ٢٤ مارس . وفى نفس الوقت تقريبا ، أعلن فى برلين أن مجلس الوزراء الالمانى قد قرر فى جلسته التى عقدها فى ١٦ مارس فرض التجنيد الاجبارى فى ألمانيا ، وأن القوات الالمانية ستزداد بحيث تصبح ٣٦ فرقة ، أى حوالى ٥٦٠ ألف جندى . وكان هذا القرار نقضا صريحا لمعاهدة فرساى التى كانت جزءا أساسيا من ميثاق عصبة الامم ..

بريطانيا تدفع موسولينى الى الارتماء فى أحضان هتلر

المعاهدة المصرية الانجليزية :

نظرا لاهمية الاحداث المصرية فى تاريخ أيدن فيما بعد، يجدر بنا أولا أن نضع أمام القارىء موجزا وافيا نوعا ما ، لهذه المعاهدة المصرية الانجليزية التى وقعت عام ١٩٣٦ ، فمن الناحية العسكرية نصت المعاهدة على نقل القوات البريطانية من القاهرة ، الى منطقة القنال لتبقى هناك مدة عشرين عاما ، كما اتفق على تقليل عدد قوات الجيش الانجليزى فى مصر كلما زادت قوة الجيش المصرى ونصت المعاهدة كذلك على انشاء قاعدة بحرية بريطانية فى الاسكندرية تقوم الحكومة البريطانية بدفع ايجارها لحكومة

مصر . وجاء فى المعاهدة أيضا نص على زيادة قوات سلاح الجو البريطانى فى مصر ، كما تعهدت الحكومة بموجبها أن تقوم ببناء طرق استراتيجية مناسبة ، لتسهل تنقل القوات البريطانية فى مصر عند الضرورة .. هذه أهم النصوص العسكرية للمعاهدة . أما فيما يتعلق بالسودان فقد نصت المعاهدة على ما يلى : اتخاذ الاجراءات لتسهيل الهجرة المصرية الى السودان ، وتعيين عدد من الموظفين المصريين فى حكومة السودان ، بينهم موظف كبير فى مجلس الحاكم العام وموظفان كبيران للمالية والعدل . ونصت المعاهدة على مبدأ الغاء الامتيازات الاجنبية فى مصر ، ونقل صلاحيات « المحاكم القنصلية » التى كانت تنظر فى قضايا الجرائم ، الى « المحاكم المختلطة » التى كانت تنظر فى القضايا المدنية فقط . ونصت المعاهدة أيضا على جمع الضرائب من الاجانب ، كما تجمع من المصريين أنفسهم ، والدعوة الى عقد مؤتمر دولى فى القاهرة ، ينظر فى أمر الغاء المحاكم المختلطة فى مصر . وفى الاحتفال الذى جرى بتوقيع المعاهدة ألقى ايدن كلمة جاء فيها : لقد سمعت من يقول ان هذه المعاهدة تحدد نهاية عهد من العلاقات الانجلو ـ مصرية ، ولكننى أفضل اعتبارها بداية عهد جديد لهذه العلاقات . ان هذه المعاهدة التى نوقعها ، هى ضمان وأداة التعاون بيننا فى المستقبل ونأمل أن يكون هذا التحالف الذى نبدأه بالتوقيع على المعاهدة اليوم ، وسيلة لتمكين حكومتى بلدينا للعمل معا بكل مودة

لمصالحهما المشتركة ، ورمزا للصداقة الدائمة بين الشعبين البريطاني والمصري .

قيام محور روما ـ برلين :

في اليوم الاول من نوفمبر عام ١٩٣٦ ، أعلن موسوليني في روما قيام محور روما ـ برلين ، وقد جاء هـذا المحور نتيجة محادثات أجريت أولا في برلين ثم في « بير تشيز غادن » بين شيانو وهتلر ، في منتصف أكتوبر ، وقد اعترف الرايخ الالماني رسميا بالامبراطورية الايطالية في الحبشة . وهكذا فشلت بريطانيا ، لسوء سياستها ، في جعل موسوليني صديقا أو تحطيمه . والواقع أن السياسة البريطانية هي التي جعلت موسوليني يرتمي في أحضان هتلر . وفي فبراير عام ١٩٣٨ ، استقال ايدن من منصبه كوزير للخارجية ، ولا يمكن في الواقع فهم الاسباب الحقيقية التي جعلت ايدن يستقيل ، الا اذا تذكرنا الاحداث الاوربية التي وقعت آنئذ بصورة عامة . وفي ٢١ فبراير عام ١٩٣٨ خاطب ايدن مجلس العموم البريطاني ، مبينا الاسباب التي أدت الى استقالته . قال ايدن في خطابه في مجلس العموم « ان هذه المناسبة مؤلمة جدا بالنسبة لي ، من الناحيتين الشخصية والسياسية ، ولا يوجد أي شخص يقوم بقطع الروابط التي تربطه بزملائه وأصدقائه عن طيب خاطر ، ولكن ، يا سيدي الرئيس ، هناك ظروف تحتم أن تتغلب الآراء السياسية للانسان على جميع الاعتبارات الاخرى . وفي مثل هذه

الظروف يكون الانسان بمفرده ، اذ أنه لا يستطيع أى انسان أن يكون رقيبا على ضمائر الآخرين ، ولذلك فانني أقف أمام المجلس اليوم ، لاوضح بايجاز الاسباب التى جعلتنى استقيل من منصب وزير الخارجية . ودعنى قبل كل شيء أذكر بصراحة ووضوح ، أن هدفنا النهائى جميعا ، وغاية السياسة الخارجية لهذه البلاد ، هى المحافظة على السلم فى العالم . ويجب أن تبقى هذه الغاية لسياستنا الخارجية بصورة دائمة . ولكى يظل السلم مستتبا ، فانه يجب أن يستند الى أسس من التجاوب الصريح والاحترام المتبادل بين الدول . واذا ما قبلنا نحن هذا الاساس لسياستنا الخارجية فيجب أن نكون مستعدين دائما لان نجرى مفاوضات مع كل الدول ، مهما كان شكل حكوماتها لايجاد التفاهم الدولى .. ولكننا فى نفس الوقت ، يجب أن نراعى أننا فى الواقع نقوى الاسس التى تعتمد عليها الثقة الدولية ،ولا نقضى عليها .. وهنا آتى الى السبب المباشر الذى جعلنى بكل أسف ، أختلف مع زملائى الوزراء . فمن المعلوم لدى المجلس أنه يجرى الآن تبادل وجهات النظر بين الحكومة الايطالية والحكومة البريطانية ، من أجل البدء فى مفاوضات بين البلدين . وقد أقرت حكومتنا مبدأ اجراء هذه المباحثات ، منذ أن جرى تبادل الرسائل فى الصيف الماضى ، بين رئيس الوزراء وبين موسولينى ، وليس هناك خلاف فى هذا الخصوص والخلاف القائم الآن هو هل

تجرى هذه المحادثات فى روما ؟ وأنا أرى أن موقف الحكومة الايطالية تجاه المشاكل الدولية عموما ، وتجاه هذه البلاد بصورة خاصة لا يبرر القيام بذلك . فالحكومة الايطالية ، تقوم بشن حملة من الدعاية العنيفة ضد بلادنا فى جميع العالم . وقد تعهدت أنا بنفسى أمام المجلس ، أن لا نشرع بالمحادثات فى ايطاليـا ، حتى تتوقف حملة الدعاية هذه ، وهى لم تتوقف بعد. هذا بالاضافة الى أن المشكلة الاسبانية لم تحل بعد . وعلى حكومتنا أن ترفض الدخول فى مفاوضات مع ايطاليا ، ومع أى حكومة أخرى ، اذا كنا لا نأمل فى امكانية نجاحها ، أو حتى اذا كنا غير متأكدين من نجاحها ـ وان هذه الامور غير متوفرة الآن . وقد حاولت أثنـاء توليتى منصب وزير الخارجية عدة مرات العمل على تحسـين علاقاتنا مع ايطاليا ، وفشلت جميع هذه المحاولات بسبب المشكلة الاسبانية فى الدرجة الاولى . وقد وقعت فى يناير من العام الماضى الاتفاقية الانجلو ـ ايطالية ، ولكن فى نفس الوقت تقريبـا ، توجهت القوات الايطالية الى أسبانيـا ، مما يعتبر خرقا لروح الاتفاقية ، ان لم يكن خرقا لنص صريح من نصوصها . وتضمنت هذه الاتفاقية بشكل صريح بندا يدعو لوقف حملات الدعاية ، ولكن هذه الحملات لم تقف . وفى الصيف الماضى جرى تبـادل الرسائل بين رئيس الوزراء وموسولينى مما كان يبشر بتحسـين العلاقات ، ولكن الامور عادت فتردت عندما وقع العدوان على

السفينة الانجليزية من قبل القوات الايطاليــة فى البحر الابيض المتوسط ، كما أن الحكومة الايطالية قامت بتمجيد انتصــارات قواتها فى اسبانيا . وأنا أرى أن من واجب الحكومة عدم اجراء مباحثات مع ايطاليا ، لتحسين العلاقات بين بلدينا ، قبل احراز تقدم بخصوص المشكلة الاسبانية ، وذلك بانسحاب القــوات الايطالية عمليا من اسبانيا . وأنا انما أذكر القضية الاسبانية أمام المجلس على سبيل المثال فقط ، فاننا لا نستطيع النظر فيها ، الا على ضوء الوضع الدولى بصورة عامة ، وهو آخذ فى التدهور يوما بعد يوم ، فكم من اتفاقية دولية خرقت ؟ .. وكم من مرة استخدمت القوة لتحقيق الاهداف السياسية ؟ .. ولذلك فان على حكومتنا أن تقف موقفا حازما من القضايا الدولية ، بما فيهــا قضية أسبانيا . وعليها أن لا نشرع فى اجراء مفاوضات ، قبــل أن تكون مستعدة تماما لذلك ، كما أنها يجب أن ترفض المفاوضات تحت أى نوع من الضغط أو التهديد . هذا هو رأيى تجاه هــذه الامور ، ولكن رئيس الوزراء وزملاءه يرون غير ذلك . وأحب أن أذكر هنا ، أن خلافا كان قائما منذ مدة ، بينى وبــين رئيس الوزراء حول الشئون الدولية ، الامر الذى كان يجب أن لا يكون ــ ولذلك فقد استقلت من منصبى ، كى أفسح المجال أمام وزير خارجيــة آخر ، يكون منسجما مع رئيس الوزراء والوزراء ، راجيا له التوفيق فى أداء مهام منصبه » . ومهما يكن من أمره ،

فقد جاءت استقالة ايدن فى وقتها وضمنت له شعبية ، وكانت من الاسباب التى جعلته يتولى منصب رئاسة الوزراء فيما بعد ، لانها « برأته » أمام الرأى العام من نتائج سوء سياسة التهدئة والجبن التى اتبعتهـا حكومة ماكدونالد وبولدوين وتشامبرلن ـ تلك السياسة التى يتحمل ايدن بكل تأكيد تبعتها كبقية الآخرين ، لأنه كان مسئولا عنها ، تلك السياسة التى جرت بريطانيا والعالم الى حرب عالمية طاحنة .

نشوب الحرب العالمية الثانية

عمل ايدن منذ استقالته من منصب وزير الخارجية على تثبيت مركزه فى مجلس العموم كما أنه قام بعدة رحلات فى الخارج . فقد زار الولايات المتحدة فى ديسمبر عام ١٩٣٨ كما أنه ألقى عدة خطابات فى باريس فى أوائل صيف ١٩٣٩ . وعندما اكفهر الجو الدولى ، واصبحت نار الحرب تحدق من كل جانب ، عرض ايدن خدماته على وزارة الحربية ، حيث عين برتبة ماجور فى احـدى الوحدات التابعة للواء البنادق الملكى ، الذى خدم ايدن فى سلكه فى الحرب العالمية الاولى . وفى ٢٤ أغسطس عام ١٩٣٩ وردت الاخبار أن ريبنتروب قد وصل الى موسكو ، وأنه وقع معاهدة عدم اعتداء مع مولوتوف ، العمل الذى ضمن به هتلر عدم خوض الحرب فى جبهتين . لقد كان الروس طوال الوقت الذى كانت

المحادثات فيهجارية مع وليام سترانج مبعوث الخارجية البريطانية، يجرون محادثات مماثلة مع الالمان .

ولم تكن انجلترا تملك الوسائل لاجبار بولندا على الموافقة بالسماح للجيش الاحمر بالمرور من أراضيها فى حالة نشوب حرب مع المانيا ، كما كان يطلب الروس ، كما أن انجلترا نفسها لم تكن مستعدة أن توافق على ذلك . لقد أصبحت الحرب ، فى الواقع فى حكم المؤكدة وأخذ العالم ينتظر بهدوء بدء اطلاق النار . ولم يطل الانتظار ، ففى سبتمبر عام ١٩٣٩ بدأ هتلر هجومه الكاسح على بولندا ، وبعد يومين ، أعلنت بريطانيا الحرب على المانيا وتبعتها فرنسا فى اعلان الحرب بعد عدة ساعات ـــ وبدأت الحرب العالمية الثانية .

بدء هجوم الجيش الالمانى على روسيا :

وقد اجرى تعديل فى الوزارة البريطانية فور اعلان الحرب ، حيث انضم الى الوزارة الجديدة المستر تشرشل ، الذى تولى وزارة البحرية ، مع مقعد فى « مجلس وزراء الحرب » الذى كان يتألف من تشامبرلن رئيس الوزراء ، وسيمون وزير الخزانة ، وهاليفاكس وزير الخارجية ، واللورد تشاتفيلد وزير الدفاع ، وهور بليشا وزير الحربية ، وكنجزلى وود وزير السلاح الجوى، وهور اللورد حامل اختام الملك واللوردهالكى الوزير بلاوزارة أما ايدن فقد تولى شئون الدومنيون البريطانى .

* وكان ايدن اهلا للمنصب الجديد الذى تولاه ، فقد حصل على مران دبلوماسي كبير فى الماضي ، فى المناصب التى تولاها . وفى أوائل الحرب ، انعقد مؤتمر فى لنـــدن لجميع ممثلى بلاد الدومنيون ، وبعد المؤتمر رافق ايدن الممثلين فى جولة لتفقدجبهة الحلفــاء فى فرنسا ، وقد أولى ايدن عنايته الفائقة رعاية شئون جنود الدومنيون ، فقد استقبل أول كتيبة من كتــائب الجيش الكندي لدى وصولها الى بريطانيا ، وطار الى السويس فى أوائل عام ١٩٤٠ ، ليكون فى استقبال أولى الفرق الاستراليــة ، التى كانت تصل الى مصر . وفى ١٠ مايو ١٩٤٠ تولى المستر ونستون تشرشل رئاسة الوزارة البريطانية ، وانتقـــل ايدن من وزارة الدومنيون الى وزارة الخارجية ، وقد ظل ايدن فى هذا المنصب حوالى ستة أشهر جرى خلالها تشكيل وحدات متطوعى الدفاع المحلي ، التى أسماها تشرشل « الحرس الوطنى » . وعين ايدن بعد ذلك وزيرا للحربية ، الا أنه ما لبث أن عاد وزيرا للخارجية مرة ثانية . وكان ارجاع ايدن الى الخارجية عملا له دلالته ، اذ أن تشرشل كان على وفاق تام فى الرأى مع ايدن فى الســنوات السابقة ، واتفق واياه على عدم التصويت على اتفاقية ميونخ الى جانب الحكومة . وكان واضحا جدا ان تشرشل كا نيريد ارجاع الاشخاص الذين يشاركونه نفس ارادته وتفــكيره الى المراكز الحساسة فى الدولة . وفى ٢٢ يونيه عام ١٩٤١ بدأ هتلر هجومه

على روسيا ، بعد أن تأكد من أنه لن يتمكن من غزو بريطانيا .
وكان عمل هتلر هذا مفيدا للحلفاء ، الذين كانوا قد فتحوا جبهة
فى البلقان . وكانت حملة هتلر على البلقان قد اضطرته الى تأجيل
هجومه على روسيا ، خمسة أو ستة أسابيع ، مما كان له أبعد
الاثر فى نتيجة الحملة ، فلو أن هتلر هاجم روسيا فى أوائل مايو
بدلا من مهاجمتها فى الثلث الاخير من يونيه ، لكان من الممكن أن
يحتل لينينجراد وموسكو وستالينجراد ، ولكانت الحملة الروسية
غير ما كانت . وقد ساعدت بريطانيا بكل قواها روسيا ، التى
أصبحت عن طريق الصدفة من كتلة الحلفاء . وكان ايدن أول
سياسى بريطانى يزور روسيا أثناء الحرب ، حيث بدأت المحادثات
فى موسكو فى ١٦ ديسمبر . ولما عاد ايدن الى انجلترا فى نهاية
ديسمبر ، قال فى حديث ألقاه بالراديو ان محادثاته مع مولوتوف
وستالين فى الكرملين قد لاقت نجاحا باهرا .

أخبار محزنة عن هزيمة المحافظين فى الانتخابات :

ولما طار المستر تشرشل رئيس الوزراء الى الولايات المتحدة
عام ١٩٤٢ ، جرت حادثة يجدر بنا الاشارة اليها هنا . وهى حادثة
فريدة فى تاريخ بريطانيا الدستورى . ورغم أنها لم تذع على الملأ
فى ذلك الحين ، الا أنها أثبتت بصورة رسمية ، أن تعيين ايدن
لوزارة الخارجية خلفا لهاليفاكس ، كان يعنى ظهور خليفة لتشرشل

فى قيادة حزب المحافظين . فقد قام رئيس الوزراء بناء على طلب الملك جورج السادس ، بتقديم رأيه للملك ، حول موضوع من يستدعيه الملك لتشكيل الوزارة فى حالة موت تشرشل ، فبعث تشرشل برسالة الى الملك ، نصحه فيها بالعهد الى ايدن بتشكيل الوزارة فى حالة موته خلال السفرة التى سيقدم عليها ، وقال تشرشل فى رسالته ، أن ايدن سيتمكن من ادارة شئون الدولة بحزم ودراية ، تتطلبهماهذه الظروف العصيبة .

وفى اكتوبر من هذه السنة أيضا ، قام ايدن بزيارة أخرى لموسكو ، ولما عاد الى لندن ، ذهب هو وتشرشل الى القاهرة لحضور المؤتمرات التى انعقدت فى نوفمبر وديسمبر ، فى القاهرة وطهران . وبعد انتهاء المؤتمرات مكث رئيس الوزراء فى الشرق الاوسط بضعة أيام ، أجرى خلالها مباحثات مع الجنرال ايزنهاور وفى نهاية عام ١٩٤٢ ، وقف ايدن أمام مجلس العموم البريطانى ، لاطلاعه بقدر ما تسمح به ظروف « سرية » الحرب على نتائج هذه المؤتمرات ، وقال ايدن للمجلس أن المؤتمر الأول فىالقاهرة كان يتعلق بموضوع متابعة الحرب ضد اليابان. أما مؤتمر طهران فقد جرى فيه البحث بخصوص المضى فىحرب ألمانيا . وقدجرت فى المؤتمر الثانى فى القاهرة مباحثات مع الرئيس الامريكى ، ووزير خارجية تركيا . وكان معظم البحث فى المؤتمرين ، الاول فىالقاهرة والثانى فى طهران ، يتعلق بالشئون العسكرية ، حيث وضع القادة

العسكريون الخطط لتحطيم قوى الخصم . وكان القسم الاخير من عام ١٩٤٤ ، بعد قيام الحلفاء بعمليات الغزو للقارة الاوربية ، مليئا بالاعمال بالنسبة لايدن ، وقد قام بأسفار كثيرة . ففى سبتمبر سافر ايدن مع تشرشل الى كويبك فى كندا ، حيث اجتمعا بالرئيس الامريكى روزفلت . وفى أكتوبر سافر ، بصحبة تشرشل أيضا الى موسكو ، وكانت هذه هى المرة الثالثة التى يزور فيها ايدن موسكو أثناء الحرب . وعاد تشرشل من موسكو رأسا الى لندن ، أما ايدن فقد عرج فى طريقه على القاهرة وأثينا وايطاليا . وكانت خبرة ايدن ، وسلطته ، تزداد من هذه السفريات وأصبح يحتل مركزا مرموقا بين زملائه فى مجلس الوزراء ، وقد أصبح ايدن ، منذ نوفمبر عام ١٩٤١ ، يمارس عمل زعيم الاكثرية فى مجلس العموم ، بالاضافة الى مهامه كوزير للخارجية . وفى ١٢ ابريل عام ١٩٤٥ ، توفى روزفلت فجأة فطار ايدن من واشنطن الى سان فرنسسكو حيث المؤتمر الذى كان يعد ميثاق هيئة الامم المتحدة . وأصيب ايدن أثناء وجوده فى سان فرنسسكو ، بمرض فى معدته ، اضطره لملازمة الفراش أثناء معظم فترة الانتخابات ، التى جرت فى بريطانيا بعد الحرب . وبعد شهر ، استسلمت ألمانيا وانتهت الحرب فى أوربا . فانحلت الوزارة الائتلافية ، وتشكلت حكومة مؤقتة ، ظل ايدن فيها وزيرا للخارجية ثم قامت الحكومة بحل البرلمان ، وأجريت انتخابات جديدة فى ٥ يولية عام ١٩٤٥ :

وكان ايدن يرافق تشرشل فى مؤتمر بوتسدام أثناء الانتخابات ، ولما عادا الى بريطانيا فى ٢٦ يوليه ، واجها الاخبـار المحزنة عن هزيمة المحافظين الكبرى فى الانتخابات . فقد حصل العمـال فى هذه الانتخابات على ٣٩٢ مقعدا فى المجلس ، بينما حصل المحافظون والاتحاديون على ١٩٨ مقعدا فقط ، ونال الاحرار ١٥ مقعـدا والمستقلون ١٤ مقعدا والشيوعيون مقعدين . فاستقال تشرشـل من رئاسة الوزارة التى شكلها العمال برئاسة أتلى ، وعاد ايدن الى العمل فى صفوف المعارضة فى المجلس مع حزبه .

خلاف بين ايدن ودالاس

واستغرق اعادة بناء كيان حزب المحافظين وقتا طويلا ، كمـا استنزف جهداً كبيرا . وقد قام بعمل اعادة تنظيم الحزب اللورد وولتون . اما رسم السياسة التى يتبعها الحزب فقد اضطلع بهـا المستر بتلر . ولم يشترك ايدن فى هذا العمـــل ، لانه ليس من اختصاصه ، اذ أنه قضى معظم حياته السياسية يعمل فى الشئون الخارجية . ولذلك كانت خبرته فى الشئون الداخلية ضئيلة جدا ، ومع ذلك فقد ظل ايدن يعتبر خليفة تشرشل لا ينازعه فى ذلك أحد .

وعندما سافر تشرشل ، فى نهاية عام ١٩٤٥ الى أمريكا لقضاء أجازة ثلاثة أشهر هناك نيط عمل زعامة المعارضـين فى مجلس

العموم بايدن . وفى نهاية عام ١٩٤٧ ، قام ايدن بجولة فى الشرق الاوسط تفقد خلالها حقول النفط فى ايران ، كما زار المملكة العربية السعودية ، وبعد عودته استأنف نشاطه فى صفوف المعارضة فى المجلس ، كما حضر مؤتمر حزب المحافظين فى « لاندودنو » ، وألقى خطابا عن الشئون الخارجية . وفى أوائل عام ١٩٤٩ قام ايدن برحلة كبيرة ، زار خلالها كندا واستراليا ونيوزيلندا والملايو والهند والباكستان ، وفى السنة التالية زار كندا والولايات المتحدة مرة أخرى . وبعد عودته من الرحلة بوقت قصير جرت الانتخابات العامة فى أكتوبر ١٩٥٠ . وقد أحرز المحافظون فيها مكاسب جديدة ، بالرغم من أن العمال ظلوا أكثرية فى المجلس ، ولكن أكثريتهم كانت بستة مقاعد فقط ، بعد أن كانوا فى المجلس السابق أكثرية بـ ١٤٧ مقعدا . وقامت حكومة العمال بحل المجلس الجديد بعد ثمانية عشر شهرا فقط ، وأجريت انتخابات جديدة فاز المحافظون فيها هذه المرة بأكثرية ١٦ مقعدا فى المجلس . وعاد تشرشل مرة أخرى الى « ١٠ داوننج ستريت ــ مقر رئاسة الوزارة » بعد غيبة امتدت ست سنوات ، وعاد ايدن الى وزارة الخارجية فى الحكومة الجديدة . وبعد أسبوع من عودته الى الخارجية طار ايدن الى باريس لحضور محادثات نزع السلاح ، التى كانت تجرى فى الجمعية العمومية لهيئة الامم . وفى ديسمبر ١٩٥١ صحب ايدن رئيس الوزراء الى باريس ، حيث اجتمعا

بالزعماء الفرنسيين ، بليفان وشومان ، وقد قابلا الجنرال أيزنهاور في مقر قيادة حلف شمال الاطلنطى ، وفى نهاية الشهر سافرا بالبحر الى أمريكا ، حيث بحثا مع ترومان مختلف الشئون العسكرية والسياسية ، فى مؤتمر انعقد فى واشنطن فى أوائل يناير عام ١٩٥٢ وفى أثناء وجود ايدن فى أمريكا ، زار جامعة كولومبيا ، حيث ألقى محاضرة عن الوضع الدولى تناول فيها شئون الشرق الاوسط فقال :

« دعونى أوضح موقف بلادى فى هذه المنطقة من العالم ، فنحن ليس لنا مطامع استعمارية فيها ، ولم نعمل على اضافة زيادة الى ممتلكاتنا نتيجة للحرب ، وليس لنا أهداف أنانية . وسياستنا تجاه مصر ، هى أن قناة السويس ممر مائى للعالم ، حرية الملاحة فيها أمر مهم بالنسبة للعالم . ونحن لا نقوم بحراسة القناة لانفسنا ، وان السياسة التى عرضناها مؤخرا على مصر ، اتفقنا عليها مع الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا ، وهى تجعل من مصر دولة شريكة لنا ، وعلى قدم المساواة معنا ، ونحن نبغى من أية تسوية فى المنطقة ، تأمين حرية الملاحة فى القناة ، وضمان أمن الشرق الاوسط بصورة عامة » . وفى ٦ فبراير عام ١٩٥٢ ، توفى الملك جورج السادس ، وحضر الدكتور اديناور ، مستشار حكومة ألمانيا الغربية الى لندن للاشتراك فى الجنازة ، وجرت بعد ذلك محادثات ثلاثية بين وزراء خارجية إنجلترا وفرنسا ، بخصوص

الامن الاوربى . وقام ايدن بزيارة العواصم الاوربية — بروكسل وبون وروما وباريس — فى سنة ١٩٥٤ ، ودعا الى مؤتمر فى لندن حضره وزراء خارجيـــة فرنسا وايطاليـــا وبلجيكا وهولندا ولكسمبرج وبريطانيا وكندا والولايات المتحدة . وأعلن ايـدن فى المؤتمر أن الفرق الانجليزية الاربع الموجودة فى ألمانيا ، والقوات الجوية فيها ، لن تسحب ضد رغبات أكثرية دول ميثاق بروكسل ، وقد اعتبرت نتائج مؤتمر لندن هذا نصرا كبيرا لايدن. وفى أكتوبر عام ١٩٥٤ ، منحته الملكة أرفع وسام انجليزى — وسام الفروسية المعروف باسم « ربطة الساق » . وشغل ايدن طوال عام ١٩٥٢ بالحرب الكورية ، والنزاع حول البترول الايرانى ، والنزاع بين تيتو وايطاليا بخصوص تريستا . وقد بحث ايدن مشكلة تريستا فى الخريف مع السنيور دى جاسبيرى رئيس وزراء ايطاليا ، فى ستراسبورج ، كما بحث الموضوع مع تيتو فى بلغراد . وقد قام تيتو بزيارة لندن فى ربيـــع عام ١٩٥٣ . وفى مارس عام ١٩٥٣ ، مرض ايدن مرضا خطيرا وأجريت له عمليتان فاشلتان فى لندن فى ابريل ، ثم سافر الى أمريكا ، حيث أجرى الدكتور كاتيل العملية له بنجاح فى بوسطن . وأمضى ايدن فترة من النقاهة والاستشفاء مدتها ثلاثة شهور ، فى أمريكا وحوض البحر الابيض المتوسط ، عاد بعدها الى لندن . وقضى ايدن مايو ويونيه ومعظم يوليـــة من عام ١٩٥٤ فى جنيف ، فى المؤتمر الذى كان يبحث مشـــكلة

الحرب الفرنسية فى الهند الصينية ، وقد حدث خلاف بينه وبين دالاس وزير خارجية أمريكا ، غضب دالاس على أثره وعاد الى بلاده ، وترك الامر الى ايدن ومنـــديس فرانس ، رئيس وزراء فرنسا الجديد ، وانتهى المؤتمر باقرار انسحاب القوات الفرنسية وقد أظهر ايدن براعة فائقة فى المفاوضات التى أدت الى الوصول الى تسوية نهائية للمشكلة .

تشرشل سيبقى فى « ١٠ داونج ستريت » :

ولنعد الان مرة ثانية الى مصر ، التى يبدو أنها كانت خيطا متصلا فى حياة ايدن ، والتى قضت عليه فى النهاية . فقـــد جرت مفاوضات مستمرة ، امتدت سنوات كثيرة ، فى عهـــد حكومات العمال والمحافظين على حد سواء ، لتغيير المعـــاهدة الانجلو ـــ مصرية التى وقعها ايدن عام ١٩٣٦ ، وفى أوائل ابريل عام ١٩٥٢، استدعى ايدن الى لندن السفير البريطانى فى مصر ، السير رالف ستفينسون ، وحاكم السودان ، السير روبرت هاو ، ليبحث معهما فى الموضوع . ودعا ايدن كذلك الى عقد مؤتمر فى يونيه من نفس السنة ، حضره ممثلون عن ١١ دولة من دول الشرق الاوســـط . وفى يونيه عام ١٩٥٢ قامت الثورة فى مصر التى أرغمت القـــوات البريطانية على الانسحاب من منطقة قناة السويس ، وقام ايدن بتوقيع الاتفاقية المصرية ـــ الانجليزية الجـــديدة فى ١٩ نوفمبر عام ١٩٥٤ . وقد دافع المستر هيد ، وزير الحربية البريطانية آنئذ

عن الاتفاقية التي تقضى بالجلاء عن القنـــاة ، وقال ان الآراء العسكرية التي كانت صالحة قبل عام قد أصبحت الآن « عتيقة » وغير صالحة بالمرة ، بسبب تطور استعمال الأسلحة الذرية ، وقال ايدن أثناء مناقشة الاتفاقية الجديدة فى مجلس العموم البريطانى أن القوات البريطانية اذا بقيت فى منطقة القنال ، فانهـا ستكون « حامية محاصرة » ولا تستطيع الحركة ، وأضـاف قائلا : ان التعويض الذى سنحصل عليه مقابل الجلاء عن القناة ، ان قواتنا الموجودة فيها الآن ، والتي يبلغ عددها ٨٠ ألفا ستصبح قـوات احتياطية متحركة استراتيجية .

ولكن ايدن نسى ، أو تنـاسى ، أن القوات الاحتياطيـــة الاستراتيجية المتحركة تكون عديمة القيمة ، اذا لم تكن لهاقاعدة مناسبة . وبما أن الحكومة البريطانية قد قصرت فى بناء مينـــاء « عميق » فى قبرص ، كما أنها لم تؤمن لقوات السلاح الجـوى البريطانى المطارات الكافية لمواصلاتها فيها ، فقد كان فقـــدان قاعدة السويس مؤثرا جدا على مركز بريطانيا فى الشرقين الادنى والاوسط ، كما سيظهر بعد وقت قصير . وشفى ايدن من مرضه تماما ، وأخذ ينتظر بفارغ الصبر اعتزال السير ونستون تشرشل السياسة ليتولى هو رئاســة الوزارة ، ويدخل الى ١٠ داونتج ستريت . وأخذ أصدقاؤه يصرحون علنا بضرورة تنحى تشرشـــل عن الحكم ، وافساح المجال لايدن ، وقالوا ان التأخير فى تولى

ايدن الحكم سيؤثر على همته ونشاطه ، مما سيؤثر حتما على قدرته فى أداء مهامه كرئيس للوزراء . ومن الغريب فى الامر ، أن ايدن نفسه كان مستعجلا لتولى الرئاسة ، مع أنه كان فى ربيع عام ١٩٥٥ فى الثامنة والخمسين من عمره ، ولم يفت عليه الوقت بعد لتولى هذا المنصب ، الذى تولاه تشرشل وهو فى الخامسة والستين من عمره . ولم يطل انتظار ايدن ، على أى حال ، فقد رفع السير ونستون تشرشل استقالته من الحكم فى ٥ ابريل عام ١٩٥٥ . وقد رأى البعض أن تشرشل كان يعتزم تأجيل تقديم استقالته ، حتى ينتهى اضراب الصحافة القوميـة ، لانه لم يكن يريد اعتزال الحكم ، بدون أن تشترك الصحافة بأسرها فى تسجيل الحادث ، وتعدد مناقب السياسى العجوز . ومع ذلك فلم يمر حادث اعتزال تشرشل الحكم دون تعليق . فقد كتبت الصحف التى كانت تصدر تعليقاتها عنه ، وكتبت أنا ، روندولف تشرشل ، تعليقا فى جريدة « المانشستر جارديان » اختتمته بالعبارة التالية :

«أما الذين حزنوا لاعتزال السير ونستون تشرشل الحكم ، فقد عزوا أنفسهم بأن الليدى ايدن نفسها هى من أسرة تشرشل ، وصاروا يقولون بتهكم وسرور ، سيكون دائما دم تشرشل فى «داونتج ستريت» .

مؤتمر لاقطاب الدول الكبرى كان نصيبه الفشل :

أصبح ايدن رئيسا لوزارة بريطانيا ، خلفا لتشرشل فى ٦ ابريل عام ١٩٥٥ وكان كل انسان تقريبا يتوقع أن يكون ايدن

رئيسا ناجحا للوزراء بسبب خدماته الطويلة فى الحكم ، وشعبيته الواسعة الانتشار فى الداخل والخارج ، ومعرفته وفهمه للرجال والشئون العامة . وعلقت بعض الصحف المحلية والاسبوعية والاجنبية على استقالة تشرشل وتولى ايدن ، لان الصحافة العامة كانت مضربة ، فكتبت « اليوركشير بوست » أنه من حسن حظ بريطانيا أن يوجد زعيم يخلف السير ونستون تشرشل ، وهو سياسى عالمى حقا ، وان منزلة بريطانيا ومقدراتها قد بقيت فى أيد أمينة ، وأضافت تقول ان ايدن سيثبت جدارته بالاحترام فى مجلس الوزراء ، وفى مجلس العموم ، وفى البلاد . أما جريدة « النيويورك هيرالد تريبيون » فقالت ان الصداقة بين بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية ، قد أصبحت مضمونة فى يدى ايدن . ولما انتهى اضراب الصحافةالعامة ، أخذت الصحف تكتب عن الحادث ، فكتبت جريدة « الصنداى ديسباتش » أن السير أنتونى ايدن ، بلا شك ، أقل كثيرا من السير ونستون ، ولكن بالرغم من ذلك ، أو حتى بسبب ذلك ، قد يثبت أنه رئيس للوزراء أفضل من تشرشل بالنسبة لايامه وظروفه ، وفوق كل شىء ، فان السير أنتونى ايدن يتحلى بالصفة التى كان يفتقدها السير ونستون ، وهى أن لا يجعل من ديبلوماسية وأعمال بلاده ، مواضيع تثير الكراهية والارتياب بين الآسيويين والغرب والافريقيين . وأعلن ايدن بعد توليه منصب رئيس الوزراء ، حل البرلمان فى ٦ مايو ١٩٥٥ ، وأجرى انتخابات عامة فى ٢٦ مايو . وكانت المعركةالانتخابية ، هادئة ، سادها النظام ، وفاز المحافظون

فيها بأكثرية ٩١ مقعدا فى المجلس . وقد دلت نتائج الانتخابات هذه ، على بداية طيبة ، لايدن وحكومته تبشر بفترة مستقرة من الحكم . وبعد يومين من انتصار المحافظين فى الانتخابات ،واجهت الحكومة أزمة داخلية خطيرة ، فقد أعلن عمال السكة الحديد الاضراب فى البلاد ، مما جعل الحكومة تعلن حالة الطوارىء ، وقد استمر الاضراب مدة ١٧ يوما ، ولكنه سبب اضرارا جسيمة للاقتصاد البريطانى القومى ، وانتهى بعد أن استجابت هيئة المواصلات البريطانية ، بناء على نصيحة الحكومة الى مطالب العمال ، وقد لعب السير ولتر مونكتون وزير العمل ، دورا كبيرا فى المفاوضات ، التى أدت الى انهاء الاضراب .

وكان السير ونستون تشرشل منذ عدة سنين ، يدعو الى اجتماع الاقطاب للتفاوض على المشاكل الدولية المختلف عليها ، وكرر تشرشل دعوته أمام مجلس العموم قبل أسبوع من اعتزاله الحكم . وكان خروشوف قد تولى السلطة فى الكرملين ، خلفا لمالنكوف ، قبل ذلك بحوالى سبعة أسابيع ، مما جعل انعقاد مؤتمر الاقطاب أكثر احتمالا . وفى أواخر ابريل عام ١٩٥٥،بدأت الدول الغربية تجرى محادثات رسمية فيما بينها،بخصوص الموقف الذى يجب اتخاذه فى مؤتمر الاقطاب . وفى ١٠ مايو ١٩٥٥ ، أى بعد حوالى نحو شهر من تولى ايدن منصب الرئاسة ، جددت بريطانيا وأمريكا وفرنسا مقترحاتها لموسكو لانعقاد المؤتمر،وقبل الروس المقترحات فى ٢٦ مايو ، واتفق على انعقاد مؤتمر الاقطاب فى جنيف فى ١٨ يونيه ، تشترك فيه روسيا وفرنسا وبريطانيا

والولايات المتحدة . وقد قبل اديناور ، الذى زار لندنووشنطون للتشاور ، عدم اشتراك المانيا الغربية فى المؤتمر ، مقابل تعهدالغرب له بأن يكون مشروع اعادة توحيد ألمانيا ، أهم هدف للغـرب فى المؤتمر. وقد كان اصرار الغرب على مشكلة توحيد ألمانيا من أهم الاسباب التى أدت الى فشل مؤتمـر الاقطاب عام ١٩٥٥ . وقد أمضى المؤتمر ثلاثة أيام ، من أيامه الخمسة ، فى البحث فى هـذا الموضوع ، دون الوصول الى نتيجة ايجابية . وقد بحث الاقطاب فى المؤتمر أيضا ، اقتراح الرئيس ايزنهاور لنزع السلاح وتشكيل هيئة مراقبة جوية مشتركة ، كما جرى البحث كذلك فى مواضيع ثانوية من نحو ازدياد التبادل الثقافى بين الشرق والغرب، وموضوع تشجيع حركة السياحة بين المعسكرين . وقد شغلت الصـحافة الغربية الرأى العام « بريبورتاجاتها » عن حفلات الطعـام التى تبودلت أثناء المؤتمر ، وعن حفلات زوجات أيزنهـاور وايدن وماكميلان ودالاس وفور ـ اذ لم يحضر الروس زوجاتهم معهم الى جنيف ، مما أوجد لدى الناس شعورا بالارتياح والاطمئنـان. وقد دعا ايدن كلا من بولجانين وخروشوف لزيارة لندن ، لاجراء المزيد من المباحثات الانجلو ـ روسية. ولم يسفر مؤتمر الاقطاب عام ١٩٥٥ عن شىء ايجابى ، اللهم الا الشىء القليل من تخفيف حدة التوتر الدولى ، وابعاد شبح الحرب الثالثة .

ظهور مشكلة قبرص بشكل خطير :

وظهرت فى تلك الاونة مشكلة قبرص بشكل خطير ، فقـد

اتخذت التدابير فى أوائل يولية عام ١٩٥٥ ، لعقد مؤتمر فى أواخر أغسطس فى لندن يحضره وزراء خارجية بريطانيا واليونان وتركيا مع مستشاريهم للشئون الدفاعية ، للبحث فى القضايا السياسية والدفاعية الخاصة بشرقى البحر الابيض المتوسط ، بما فى ذلك جزيرة قبرص . ولكن اتضح فى منتصف يونية ، أن المؤتمر لن يكون مجديا ، لان مكاريوس رئيس أساقفة قبرص ، زار أثينا فى تلك الاثناء ، وبين للحكومة اليونانية وجهة نظره بوضوح فى مؤتمر لندن ، وأعلن مكاريوس أن المؤتمر مناورة القصد منها عدم عرض القضية على هيئة الامم . وأعلن أن الشعب القبرصى لن يقبل بأية قرارات تصدر عن المؤتمر ، لا تكون متفقة مع حقوقه بالجلاء والوحدة ، حتى ولو وافقت عليها الحكومة اليونانية . ولم يكن بامكان الحكومة اليونانية ، أو بمعنى أصح لم تكن تريد ، أن تقف فى وجه حركة رجال الدين القبارص ، ولذلك لم يكن هناك أى أمل بنجاح المؤتمر . وبلغ نشاط الحركة القبرصية فى ذلك الحين أشده ، تلك الحركة التى ابتدأت فى ديسمبر عام ١٩٤٥ ، وازدادت حركة تهريب الاسلحة ، ولم تؤد المقترحات التى تقدمت بها بريطانيا لتسوية القضية ، الى حل فى سبيل تهدئة الوضع . واتضح لدى المسئولين البريطانيين ان اتخاذ التدابير الشديدة الحاسمة فقط ، يمكن أن يمنع من تحويل الجزيرة الى بركة من الدماء . فمنعت السلطات البريطانية نشاط منظمة « أيوكا » ولكن ذلك زاد فى قوتها وتأثيرها ، وازداد مع ذلك عدد القتلى والجرحى

من البريطانيين . وفى محاولة للقضاء على حركة المقاومة هذه ، طلب ايدن من السير جـون هاردنج ، رئيس هيئـــة الاركان الامبراطورية الذى كان يريد التقاعد ، ان يتولى منصب حاكم جزيرة قبرص وقائد القوات البريطانية فيها .

وقبل هاردنج هــذا الطلب ارضاء لخاطر ايدن ، مع أنه كان يتطلع الى التقاعــد والراحة بفارغ الصبر . وقد تمكن هاردنج أثناء فترة حكمه لقبرص من أن لايجعل حوادث العنف والارهاب تفلت كلية من يده ، ولكن مع ذلك لم يتمكن من القضاء نهائيا على الحركة بسبب تأييدمكاريوس ورجال الدين القبارصةلايوكا، روحيا وماديا . وكان هادرنج يعرف تماما دور مكاريوس فى الحركة ، ولكنه ظل متمشيا معه . ولم يلجأ الى نفيه الى جزيرة « سيشل » فى مارس عام ١٩٥٦ ، الا بعدأن‌فشلت‌جميع‌المحاولات للتفاوض ، وقام هاردنج بهذا العمل حفظا لامن وسلامة الجزيرة وفى تلك الاثناء أيضا ، كانت الاوضاع الاقتصـادية البريطانية تسير من سيء الى أسوأ ، وصارت الحكومة تعانى أزمة مالية كبيرة ، حتى اضطرت فى ٢٦ اكتوبر عام ١٩٥٥ ، الى أعلان‌ملحق للموازنة لتغطية العجز ، ولجأت الحكومة الى زيادة ضرائب البيع ورسوم البريد وغير ذلك من الاجراءات المالية لمواجهة الازمة . وفى نهاية عام ١٩٥٥ ، أجرى ايدن تعديلا فى وزارته ، فنقل المستر ماكميلان ، الذى كان وزيرا للخارجية ، الى وزارة المالية . خلفا

للمستر بتلر ، وعين المستر سلوين لويد وزيرا للخارجية خلفا لماكميلان . وأخذ ماكميلان وزير المالية الجديد يتخذ الاجراءات لمنع تفاقم التضخم المالى ، فأعلن فى فبراير عام ١٩٥٦ زيادة عمولة البنك من ٤ر٥ فى المائة الى ٥ر٥ فى المائة ، كما زاد الضرائب على السجاير ، وعلى أرباح الشركات ، بالاضافة الى اجراءات مالية أخرى . وكان لهذه الاعمال كلها تأثير سيء على ايدن وحكومته ، وأخذ ايدن وحكومته يتعرضان الى انتقادات شديدة . ولم تقتصر حملة النقد هذه على صحف المعارضة وحدها وانما اشتركت فيها الصحف المعروفة بولائها الدائم للمحافظين .

فقد هاجمت صحيفة « الديلى تلغراف فى عددها الصادر فى الثالث من يناير عام ١٩٥٦ ايدن بعنف ، وطلبت من الحكومة المزيد من الحزم فى معالجة الامور . واشتركت فى الهجوم جريدة « الديلى ميل » المحافظة أيضا واتهمت الحكومة بفقدان « الارادة » فى أعمالها . وسرت الاشاعات ، نتيجة لهذه الحملات أن ايدن يعتزم الاستقالة من منصب رئيس الوزراء ، وأن المستر بتلر سيخلفه . وانتشرت هذه الاشاعات بدرجة كبيرة ، حتى أن ايدن أصدر بيانا من ١٠ داونتج ستريت ، أعلن فيه أن هذه الاخبار مختلقة ولا أساس لها من الصحة مطلقا. كما أن المستر بتلر أعلن فى نفس اليوم ، أنه لا يعلم شيئا عن موضوع الاستقالة هذا ، وأعلن أنه مصمم على الوقوف الى جانب رئيس الوزراء فى وجه الصعوبات التى تواجهه .

زيارة بولجانين وخروشوف لبريطانيا :

وتميز شهر ابريل عام ١٩٥٦ بزيارة المارشال بولجانين والمستر خروشوف الى لندن ، تلبية للدعوة التي وجههـا اليهما ايدن فى جنيف فى العام الماضي . وكان مالينكوف قد زار بريطانيا قبـل بضعة أشهر ، واستقبله الشعب البريطانى بحرارة . ولكن استقبال بولجانين وخروشوف كان فاترا ، وذلك لاسباب عدة ، منها أن القادة السوفييت ارتكبوا غلطة بارسال رئيس البوليس السرى الجنرال سيروف الروسى ، مقدما الى بريطانيا ، ليشترك مـع المسئولين من رجال الامن الانجليز فى اتخاذ ترتيبات الحراسـة للزوار السوفييت وسيروف هذا مشهور بقسوته وكثرة سـفكه للدماء ، ولذلك استاء الناس كثيرا من مجيئه الى بريطانيا . وقد رأى بولجانين وخروشوف لدى وصولهما الى لندن ، انه من الخير لهما اعادته الى موسكو . ومن الاسباب الاخـرى التى جعلت البريطانيين يستقبلون القادة الروس بتحفظ ، مانشرته وكالة أنباء تاس السوفييتية ، من أن بولجانين وخروشوف أبديا تذمرهما ، قبل ان يغادرا موسكو ، من برنامج الزيارة ، الذى أعـدته الحكومة البريطانية لهما . اذ يبدو أنهما كانا يأملان الاختلاط كثيرا بالشعب البريطاني ، كما فعل مالنكوف من قبـل ، الامر الذى راعت الحكومة البريطانية عدم وقوعه ، عند اعداد برنامج الزيارة. وقد تضمن برنامج الزيارة للقادة الروس ، القيام برحلة سياحية فى لندن ، وتناول طعام العشاء فى ١٠ داونتج ستريت ، فى حفلة

رسمية حضرها السير ونستون تشرشل ، وتناول طعام الغداء فى دار البلدية ، وزيارة لهارويل ، وحضور حفلة استقبال أقامهـا طلبة اكسفورد ، وتناول الشاى مع الملكة فى قلعة وندسور ، وقام المستر هيو جيتسكل ، زعيم حزب العمال المعـارض ، بدعوة الضيوف الروس ، الى حفلة عشاء أقامها لهم فى غرفة خاصة فى مجلس العموم البريطانى . وبعد العشاء وجه المستر جورج براون لهما عدة أسئلة محرجة عن حالة بعض الزعمـاء الاشتراكيـين الديمقراطيين ، فى بلدان « الستار الحديدى » ولم يجب الزعماء الشيوعيون على هذه الاسئلة مطلقا ، حتى أن خروشوف قال فيما بعد أنه لو عاش فى بريطانيا لكان عضوا فى حزب المحافظين، وليس فى حزب العمال الاشتراكى . وقد فرح الجناح اليمينى فى حزب العمال من أسئلة براون ، بينما استاء اليساريون فى الحزب ، من مضايقة أسيادهم الاجانب . وعقب انتهاء زيارة القـادة الروس لبريطانيا ، صدر بلاغ مشترك ، أعرب الجانبان فيه عن تصميمهما على اتخاذ جميع الاجراءات الممكنة ، لزيادة الثقـة المتبادلة ، وتحسين العلاقات بين الدول ، وتعرض البيان للشرق الاوسط ، فأكد البلدان أنهما سيعملان كل ما فى استطاعتهما لحفظ الامن والسلام فى المنطقة ، وسيساعدان الامم المتحدة على ايجاد تسوية سلمية للنزاع العربى الاسرائيلى . وفى ٢٩ ابريل ، أى بعد يومين من مغادرة القادة السوفييت بريطانيا ، أصدرت قيـادة البحرية البريطانية بلاغا ، أعلنت أن الكوماندور ليونيل كراب ، أحـد « رجال الضفادع » فى الاسطول البريطانى ، قد فقد ، وربما لاقى

حتفه عندما كان يقوم بعملية « غطس » فى خليج سنتكس قرب ميناء بورتسموث ، فى ١٩ ابريل ، وذكر البلاغ أن « كراب » كان يقوم بفحص بعض معدات رجال الضفادع الجديدة . ولكن بعد خمسة أيام ، أى فى ٤ مايو تلقت وزارة الخارجية مذكرة من موسكو ، جاء فيها أن بحارة السفن الروسية التى كانت راسية فى ميناء بورتسمون ، قد شاهدوا أحد رجال الضفادع ، فى صبيحة يوم ١٩ ابريل على سطح الماء ، ثم غطس . واحتج الروس فى المذكرة ، على هذا الحادث غير العادى ، الذى وقع أثناء قيام القادة الروس بزيارة ودية لبريطانيا ، وطلبوا من الخارجية البريطانية تفسيرا لما وقع . وقد أثار حادث كراب هذا ضجة كبيرة فى الصحف وفى البرلمان الانجليزى ، وثبت فيما بعد أنه كان يحاول الحصول على معلومات عن المدمرة الروسية ، الراسية فى بورتسموث والتى نقلت بولجانين وخروشوف الى بريطانيا ، ولكن البحارة الروس كانوا يقظين وقتلوه . وقد تنصلت الحكومة ، وقيادة الاسطول ، من علمها بالحادث ، وظل الموضوع غامضا ، اذ لا يعقل أن يقوم كراب بهذه المهمة الخطيرة للغاية دون علم المسئولين بذلك . وانتهى الامر بارسال الحكومة مذكرة لموسكو ، اعتذرت فيها عن الحادث الذى وقع دون علمها .

طرد جلوب من الاردن كان بداية نهاية ايدن

فى اليوم الاول من مارس عام ١٩٥٦ ، طرد الملك حسين

الجنرال جون باجوت جلوب من رئاسة اركان الجيش العربى الاردنى واخرج جلوب وعائلته من الأردن فى نفس اليوم بعد ان أمضى فى الاردن ربع قرن ، قضى منها خمسة عشر عاما قائدا للجيش العربى . وقد أقر مجلس الوزراء الاردنى فى نفس الليلة ، تسريح جلوب من الجيش بعد اجتماع دام سبع ساعات وكان هذا العمل يعنى تحطيم السياسة البريطانية فى الشرق الاوسط . أما الاسباب التى حدت بالملك حسين الى طرد جلوب فهى أسباب وطنية قومية فى الدرجة الاولى . وبعمله هذا كان الملك يعبر عن أمانى ورغبات الشعب الاردنى باسره ، الذى كان ناقما جدا على وجود جلوب على رأس الجيش العربى وقد سبق أن تلقى الملك حسين قسطا من علومه العسكرية فى كلية « ساند هرست » العسكرية الملكية البريطانية ، وكان يرى رأيا يغاير رأى جلوب فيما يتعلق بالدفاع عن حدود الاردن ، فى حالة تعرضه للهجوم . فقد كان جلوب يرى الانسحاب من الضفة الغربية فى حالة وقوع هجوم اسرائيلى عليها بينما كان الملك حسين مصمما على المحافظة على كل شبر فيها . ومن الممكن كذلك ان يكون ملك الاردن قد استاء من تعليقات الصحف البريطانية المتكررة ، التى كانت تذكر أن الحاكم الحقيقى فى الاردن هو جلوب ، وليس الملك حسين . وكان هذا هو الموضوع الرئيسى لمقال نشرته صحيفة « اللستريتد » البريطانية الاسبوعية مؤخرا ، ووقعت نسخة من هذا العدد فى يده وبدا فى لندن ان الحكومة كانت بطيئة فى اظهار رد فعلها لدى تلقيها الخبر ، الشيء الذى يدعو الى الغرابة ، لان

السياسة البريطانية كانت تتجه منذ مدة طويلة الى المحافظة على التحالف مع الاردن ، الامر الذى كان يعتبر ضروريا جـــدا ، خصوصا بعد أن انسحبت القوات البريطانية من قواعدها فى قناة السويس . وكانت بريطانيا قبل اربعة اشهر فقط قد زادت من قيمة المعونة التى كانت تدفعها للاردن ، بحيث اصبحت ١٢ مليونا جنيه . وقد أظهرت بريطانيا بوضوح ، قبل ثلاثة أشهر من طـــرد جلوب أهمية الاردن فى بناء السياسة الدفاعية البريطانية للشرق الأوسط ، حينما أوفدت الفيلد مارشال سير جيرالد تمبلر رئيس أركان القوات الامبراطورية الى عمان ، ليقـــوم باقناع الاردن بالدخول فى حلف بغداد . ولكن تمبلر فشل فى مهمته وأظهر هذا الفشل للعالم ، ان بريطانيا لم تكن تستطيع السيطرة على الاردن حليفتها ، وكان ذلك بمثابة خيبة أمل كبيرة للسير انتونى ايدن .

وفى ٢مارس ، أى فى اليوم التالى لطرد جلوب ، اجتمـــع ايدن بوزير حربيته ، وبوزير الدفاع السير ولتر مونكتون ، كما اجتمع بالسفير الامريكى المستر وتروب الدرتش فى اليوم التالى وذهب بعد ظهر نفس اليـــــوم الى « تشيكرز » مقره الريفى لقضاء عطلة نهاية الاسبوع . وعندما وقع حادث جلوب ، كان المستر سلوين لويد ، وزير الخارجية البريطانية ، فى طريقه لحضور مؤتمر منظمة حلف جنوب شرقى آسيا فى كراتشى ، وقد نزل فى طريقه فى البحرين ، حيث « رجمه » المتظاهرون بالحجارة . وفى يوم الاحد ٤ مارس ، ذهب جلوب ـ الذى وصل من قبرص فى

اليوم السابق ــ لمقابلة المستر اتونى ناتنج ، وزير الدولة للشئون الخارجية ، قبــل ان يذهب فى نفس اليوم الى تشيكرز لتناول الغداء ، ولقضاء فترةبعد الظهر مع ايدن . وفى اليوم التالى ، ترأس ايدن جلسة لمجلس الوزراء انعقدت لبحث القضية . وفى اليوم الذى تلا الجلسة ، ظهرت فى « التايمز » رسالتا تحذير لايدن ووزرائه ، عبرتا عن استياء النــواب المحافظين فى المجلس من الوضع ، فكتب النائب المحافظ جوليان امورى مايكى : « ان طرد جلوب من الجيش العربى ، ورجم وزير الخارجية البريطانية فى محمية البحرين ، يدلان على افلاس سياسة التهدئة التى تتبعها الحكومة فى الشرق الاوسط ، وقد جاء هذان الحادثان ، نتيجة لانسحاب بريطانيا من فلسطين وعبدان والسودان وقناةالسويس ونحن نقترب بسرعة من الكارثة النهائية ، فمن الممكن ان يؤدى تحدى نفــوذنا فى الاردن وفى الخليج الفــارسى ، اذا لم تقم باجراءات عاجلة ، الى تحطيم حلف بغداد . ويصبح بذلك تزويدنا بالبترول ، الذى لا نستطيع العيش بدونه فى خطر مباشر ، كما أن مواصلاتنا مع بلدان الكومنولث تصبح مهــــددة ، وتنفتح أفريقيا بأسرها للتقدم الشيوعى . ولا يمكن انقاذ الوضع ، الا بترك سياسة المهادنة كلية . » وكتب النائب المحافظ الكابتن ووترهاوس مايلى : « لقد انقضى عهد التأولات ، وعلينا ان نقبل بهذا التحدى فى الوقت الذى لايزال مركز الشيوعية ضعيفا ، وعلينا أن نظهر للعالم ان هناك نقاطا لايمكن ان نتراجع عنها او نتساهل فيها » . واجتمع ايدن فى ذلك اليوم بالسفير الامريكى لمدة نصف ساعــة

كما انه استشار بتلر وناتنج ، كلا على انفراد . والتأم مجلس الوزراء ثانية فى اليوم التالى ودعى لحضور الجلسة وزراء الدولة ناتنج وريدنج ، ووزير الوقود المستر جونز ، ووزير المواصلات هارولد واتكنسون . وجرت مناقشة للموضوع فى مجلس العموم فى ٧ مارس ، تكلم فيها جيتسكيل زعيم المعارضة وأشار الى الاخطار الجديدة التى أصبحت تواجه بريطانيا فى الشرق الاوسط نتيجة للازمة الاردنية . ووقف ايدن مترددا فى المجلس وقال : « يجب ان أذكر أمام المجلس ، اننى لست فى وضع يمكننى من أن أذكر الليلة السياسة التى ستنتهجها الحكومة تجاه الاردن ، لان الحكومة لم تحط بالامر احاطة كاملة بعد » . وقد ثارت ضجة عنيفة فى البرلمان فى وجه ايدن ، لم يتمكن من الصمود امامها ، فاضطر رئيس المجلس ان يتدخل لاعادة الهدوء فى الجلسة . وجرى تصويت على الثقة بالحكومة فى نهاية الجلسة ، ونالت الحكومة ثقة المجلس . ولكن المناقشة فى مجلس النواب أظهرت من الناحية السياسية ، ان بريطانيا قد خسرت الجولة هذه المرة أمام العرب ، اما بالنسبة لايدن ، فقد كانت هذه المناقشة بداية « تحطيم » الشخصية التى كان الناس يظنون انه يتحلى بها . لقد كان طرد جلوب من الاردن فى الواقع بداية نهاية ايدن .

تأميم قناة السويس وبدء أزمة الشرق :

فى ٢٦ يولية عام ١٩٥٦ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر نبأ تأميم شركة قناة السويس ، وقد تلقى السير انتونى ايدن هـذا

النبأ ، أثناء وجوده فى حفلة فى ١٠ داونتج ستريت دار الرئاسة ، كان قد أقامها بمناسبة تشريف فيصل الثانى ملك العـراق السابق . وقد ضمت تلك الحفلة عددا من الوزراء ، وكبار القادة العسكريين ، والمستر جيتسكل زعيم المعارضة فى مجلس العموم البريطانى . ولم تكد الحفلة تنتهى حتى عقد ايدن اجتماعا لبحث الموضوع بحضور بعض أعضاء حكومته وكبار القادة العسكريين كما حضره السفير الفرنسى فى لندن والقائم بالاعمال الامريكى . واستمرت المحادثات فى هذا الاجتماع حتى الساعـة الثانية من صباح اليوم التالى . وكانت أمريكا وبريطانيا قد اعلنتا فى اليـوم الثامن عشر من ديسمبر عام ١٩٥٥ عن عزمهما على تقديم قرض لبناء السد العالى كما وعد البنك الدولى بتقديم قرض آخر ، على أن تقوم مصر بتحمل باقى النفقات ، وذلك فى الوقت الذى كانت فيه أمريكا على استعداد لانفاق الاموال الطائلة للحد من انتشار الشيوعية فى العالم . وقد اعتبر الامريكيون ان قيام مصر بابتياع السلاح من روسيا يعد بمثابة ايجاد موطىء قدم للسوفييت فى الشرق الاوسط ، وتعرض وزير الخارجية الامريكية الى ضغط كبير فى داخل امريكا لسحب القرض الذى سيقدم الى مصر . كما أن لجنة القطن فى الكونجرس الامريكى ، طلبت عدم تقديم قرض الى مصر ، لانها ترى ان بناء السد العالى سيزيد فى مساحة الارض المصرية المزروعة قطنا بمقدار مليونى فدان ، مما سيؤدى الى انخفاض أسعار القطن الامريكى . على ضوء هـذه الاعتبارات قررت أمريكا سحب عرضها تقديم القرض لبناء السد العالى وقام

المستر دالاس فى ١٩ يولية عام ١٩٥٦ بابلاغ هذا القرار الى السفير المصرى فى واشنطن ، وفى اليوم التالى أعلنت انجلترا أيضا ، سحب عرضها تقديم قرض لبناء السد العالى . واعتبر القرار الامريكي بمثابة تغيير شامل للسياسة الامريكية تجاه مصر ، بعد ان كان المستر دالاس قد اقتنع أثناء جولته فى الشرق الاوسط ، ان امريكا يجب ان تنتهج سياسة ودية تجاه البلاد العربية .

وبالفعل سارت امريكا فى هذه السياسة طيلة السنتين ونصف السنة التى تلت زيارة دالاس للمنطقة ، وكان يشجع دالاس على اتباع هذه السياسة التى لم ترق لبريطانيا ، المستر جورج ألن رئيس دائرة الشرق الاوسط فى الخارجية الامريكية ، والمستر شارلز بايرود سفير امريكا فى مصر . ولكن على كل حال لم يأخذ المستر دالاس برأى بريطانيا فى سياسته تجاه الشرق الاوسط . وبعد ان اشترت مصر الاسلحة من الكتلة الشرقية رأى دالاس ضرورة التشاور مع بريطانيا لرسم سياسة موحدة للبلدين فى المنطقة . وقد غضب دالاس لدخول روسيا الى منطقة الشرق الاوسط كممول للاسلحة ، وأعلن ان مصر بامكانها الحصول على السلاح من واشنطون .

ثم جاءت صفقة الاسلحة التشيكية التى جعلت دالاس يتخذ قرارا حاسما بتغيير سياسته ، وكانت أولى اجراءاته نقل المستر بايرود والمستر ألن من منصبيهما الى مناصب أخرى . أما ايدن فكانت اجراءاته حاسمة على أثر تلقيه نبأ تأميم القناة . فلم تمض ساعات على انتهاء الاجتماع الذى عقده فى دار الرئاسة فور تلقيه

النبأ حتى كان يقف أمام مجلس العموم البريطانى ليعلن : رفض الحكومة البريطانية الاجراء المصرى واعتباره خرقا للاتفاقيات الدولية وتهديدا لمصالح كثير من الدول . وايده فى ذلك المستر جيتسكل زعيم المعارضة فى المجلس والمستر ديفيس ، رئيس حزب الاحرار ، ووقفت الصحافة البريطانية باسرها موقفا معاضدا لرئيس الوزراء وأبدت استياءها وممانعتها لعمل الرئيس المصرى

واجتمع ايدن بالمسيو بينو وزير خارجية فرنسا والمسترمورفى عن الخارجية الامريكية فى ٢٩ يولية ١٩٥٦ وبحثوا فى الموضوع وظهر للملأ ان الشعبين الانجليزى والفرنسي سيؤيدان أية خطوة تتخذها حكومتا البلدين لنقض قرار الرئيس المصرى .

وأيد مجلس العموم البريطانى بالاجماع تقريبا اية خطوة حازمة تنوى حكومة ايدن اتخاذها لمعالجة الازمة ، كما طالب المستر جيتسكل زعيم المعارضة الحكومة باستخدام القوةلمعالجة الموقف . وعندما رفع مجلس العموم جلساته فى ٣ أغسطس عام ١٩٥٦ ، كان ايدن يعتقد ان المجلس يؤيده بالاجماع كما انالامة البريطانية بأسرها تسير وراءه فى كل اجراء ينوى اتخاذه . وبين لحظة وأخرى تراجع حزب العمال عن تأييده فى استخدام القوة أثر اجتماع المسترجيتسكل فى١٤ أغسطس١٩٥٦ معايدنواصرار الاخير على نقل القضية الى الامم المتحدة . الا ان ايدن رفض طلب جيتسكل وأصدر بيانا يتعهد فيه بعدم استخدام القوة الا ضمن ميثاق الامم المتحدة .

ومنذ ذلك الوقت ، اتخـذ حزب العمال موقف المعـارض لسياسة الحكومة فى معالجة الازمة بمفردها أو بمساعدة حلفائها .

وكان السير انتونى ايدن يصر على الدخول فى حرب من أجل قناة السويس ،منذ اللحظة التى تلقى فيها نبأ التأميم ولم يطلع على خطته هذه سوى المستر سلوين لويد وزير الخارجية والمستربتلر حامل أختام الملكة ، والمستر ماكميلان وزير المـالية واللورد ساليزبورى رئيس مجلس العموم ، بالاضافة الى كبار القـادة العسكريين والمستر انتونى هيد ، وزير الحربية الذى كان يعتمد عليه أكثر من اعتماده على وزير الدفاع السير ولتر مونكتون ، والذى عينه ايدن وزيرا للدفاع بدل السير مونكتون قبل بدء الاعتداء على السويس بأسبوعين فقط . وقد لعب المستر هيـد دورا كبيرا فى اعداد خطط عمليات الاعتداء الثلاثى وتنفيذها . وجرى نفس الامر فى فرنسا اذ عهدت قيادة عمليات حـرب السويس الى رئيس الوزراء موليه وبينو وزير خارجيته وثلاثة وزراء آخرين . وكان معظم أعضـاء الوزراة الفرنسية تنقصهم الخبرة فى الشئون السياسية الهامة وكانوا يعتمدون اعتمادا كبيرا على السير انتونى ايدن فى قيادة العملية ، كما انهم كانوا يجلونه ويحترمون آراءه وتوجيهاته .

ويبدو ان بريطانيا لم تكن مستعدة عسكريا للدخـول فى عمليات حربية ، فقد أظهرت التحريات عدم اعداد خطة عسكرية لاحتلال قاعدة القناة مرة ثانية ــ القـاعدة التى كانت القوات البريطانية قد طردت منها مؤخرا ــ وبدأ القادة العسـكريون

يعملون بسرعة ووضعوا خطة لحملة عسكرية تعرف باسم « هملكار » تقضى بالقيام بعملية انزال جنود من الجو فى بعض المواقع الاستراتيجية فى منطقة القناة ، تتبعها عملية امداد من البحر . ولكنه تبين ان المظليين الانجليز والفرنسيين بحاجة الى تدريب جديد ، لانهم اعتادوا منذ مدة طويلة على القيام بالعمليات الحربية على الارض ، بالاضافة الى أن وسائل النقل الجوية اللازمة للقيام بعملية « هملكار » لم تكن متوفرة فى الشرق الاوسط أو حتى فى بريطانيا وفرنسا كما ان السفن اللازمة لنقل القوات الى مصر للقيام بعملية انزال بحرية كانت غير متوفرة . ومن ناحية اخرى لم يكن انشاء القاعدة البريطانية الجوية فى قبرص قد اكتمل بعد ، وهى التى كان البريطانيون يعتزمون الاستعاضة بها عن القواعد التى جلوا عنها فى منطقة القناة ، لانهم لم يكونوا يعتمدون على قواعدهم الاخرى ، اذ لم يكن الملك حسين يسمح بزيادة القوات البريطانية الموجودة فى الاردن ، ثم منعها من القيام باى نشاط عسكرى منعا باتا وشل حركتها شللا كاملا .

اما الاتفاقية الانجلو ــ ليبية فلم تكن تجيز لبريطانيا استخدام قواعدها فى ليبيا للقيام باية عمليات عسكرية ضد أية دولة من دول الجامعة العربية . هذا هو الوضع العسكرى والاستراتيجى الذى كانت بريطانيا تجابهه عندما كانت تعتزم القيام بحملة السويس . وبدأت رغم ذلك التحركات العسكرية واستعدت أساطيل بريطانيا وفرنسا فى البحر المتوسط فى موانئها تنتظر تلقى الاوامر بالابحار ، وصدرت الاوامر الى الفرق

العسكرية فى بريطانيا بالوقوف على أهبة الاستعداد للتحرك فى خلال ٢٤ ساعة من اصدار الامر . وبدأ نقل القوات البريطانية من بريطانيا فى أغسطس ١٩٥٦ حين نقلت بعض الفرق العسكرية الى قبرص ومالطا بطريق البحر والجو . ووضعت الحكومة البريطانية يدها على بعض السفن والطائرات المدنية لاستخدامها فى عمليات النقل العسكرية وحاولت بريطانيا تغطية استعداداتها العسكرية باجراء مفاوضات دبلوماسية لكسب الوقت . فعقد اجتماع ثلاثى فى لندن حضره ايدن ومورفى ، ثم اجرت الدول الغربية الثلاث محادثات اشترك فيها المستر دالاس ، تبعها انعقاد مؤتمر فى لندن فى ١٥ أغسطس ١٩٥٦ حضره ممثلو ٢٢ دولة تعنيها شئون القناة . ثم ترأس منزيس فرانس رئيس وزراء استراليا بعثة خماسية سافرت الى القاهرة لاجراء مشاورات هناك واخيرا اقترح دالاس فى ١١ سبتمبر انشاء جمعية الدول المنتفعة بقناة السويس .

وكان من نتائج المؤتمر الثلاثى ، ان أعلنت بريطانيا وفرنسا تجميد الارصدة المصرية فى بلديهما ، كما منعتا نقل أموال الشركة المؤممة والموجودة فى الخارج الى مصر ، وأعلنت أمريكا أيضا تجميد أرصدة مصر فى بلادها . ولكن هذه الاجراءات الدبلوماسية لم تخف الاستعدادات العسكرية التى كانت تقوم بها بريطانيا وفرنسا ، فلم يعد خافيا على أحد أن بريطانيا وفرنسا تستعدان للقيام بعملية حربية ، وهو ما اضطر المستر دالاس للسفر الى لندن للاشتراك فى المحادثات الثلاثية التى اسفرت عن الدعوة الى عقد

مؤتمر يضم الدول التى تستخدم القناة ولكن المهم فى هـــذه المحادثات أن بريطانيا وفرنسا تبينتا عدم استعداد أمريكا لاتخاذ سياسة فعالة معادية لمصر كما ان دالاس طلب من السفن الامريكية التى تعبر القناة ان تدفع الرسوم للهيئة المصرية الجديدة . ولم يبد المستر دالاس حماسة للاستعدادات الحربية التى كانت تقوم بهـا بريطانيا وفرنسا ، وأعلن صراحة فى اليوم التالى لعــودته الى واشنطن ، انه لايوافق على هذه الاجراءات العسـكرية ، وان امريكا سوف لاتورط نفسها فى النزاع القائم حـول السويس ، حتى ولو فشل المؤتمر المنوى عقـده . وانعقـد المؤتمر فى ١٦ أغسطس فى قصر لانكستر فى لندن وحضره ٢٢ دولة ، وتخلفت مصر واليونان عن حضوره ، وقد تبنى كل من المستر شبيلوف وزير خارجية روسيا والمستر كريشنا مينون وزير الدولة الهندى الدفاع عن مصالح مصر التى لم تحضر المؤتمر . وفى النهاية نجح دالاس فى اقناع المؤتمر باصدار قرار ، عارضته روسياواندونيسيا وسيلان والهند ، وهو يقضى بان يتولى مكتب دولى ادارة القناة وتحصيل الرسوم ، وبعبارة اصح يقوم باعمال الشركة السابقة بصورة مؤقتة . وأرسلت الدول الثمانى عشرة ، التى وافقت على القرار ، اللجنة الخماسية برئاسـة المستر منزيس رئيس وزراء أستراليا الى القاهرة ، لايضاح القرار الى الحكومة المصرية . ولكنه عاد من القاهرة بعد ان مكث فيها مدة ٦ أيام ، لم يحرز خلالها أى تقدم فى مباحثاته .

انتصار مؤقت تبعه انهيار عصبى وخيبة أمل :

ظن السير انتونى ايدن ان اقتراح المستر دالاس ، الذى يقضى بانشاء جمعية المنتفعين بالقناة ، سيجعل أعضاء هذه الجمعية يتكاتفون معا ويعملون على عبور قناة السويس بالقوة ، اذا حاول الرئيس جمال عبد الناصر ان يعرقل الملاحة فيها . ولذلك كان ايدن يبدو واثقا من نفسه ، حين وقف يخطب امام مجلس العموم فى ١٢ سبتمبر ويعلن ان حكومة مصر تخالف اتفاقية الآستانة عام ١٨٨٨ بشأن القناة : اذا عرقلت بأى شكل من الاشكال أعمال الجمعية . وقال ان بريطانيا متفقة تماما مع بقية الدول ، حول الاجراءات الواجب اتخاذها فى حالة قيام مصر بعرقلة أعمال الجمعية ، سواء عن طريق الامم المتحدة أو عن أى طريق آخر وقد صفق النواب طويلا لخطاب ايدن وتكلم « النائب السير روبرت بوثبى » مبديا ارتياحه لخطاب رئيس الوزراء ، حيث قال : « شكرا لله سوف لا تتحقق احلام جمال عبد الناصر ، التى طالما رددها فى خطاباته » . ولكن انتصار ايدن لم يدم طويلا ، ففى اليوم التالى لخطابه أمام المجلس ، حملت أنباء واشنطن تصريحا للمستر دالاس فى مؤتمر صحفى ، حين سأله احد الصحفيين عن الاجراء الذى ستتخذه امريكا اذا منعت مصر مرور سفن الدول المنضمة الى جمعية المنتفعين بالقناة فقد قال :

« فى هذه الحالة ستحول السفن الامريكية طريقها عن القناة الى جنوب رأس الرجاء الصالح ، وستساعد الولايات المتحدة

الدول الاخرى التى تنوى القيام بنفس العمـل بتقديم قروض وناقلات بترول ضخمة لها . »

وقد وقع هذا التصريح وقوع الصاعقة على ايدن وحكومته ، وقطع الطريق على السياسة التى أعلنها ايدن فى اليوم السابق امام المجلس ، ولم يبق أمامه الا طريق واحد هو أن يتفق مع فرنسا على ما يجب القيام به . وانقسم مؤيدو ايدن الى فريقين : فريق يرى احالة الموضوع الى مجلس الامن وفريق لايرى مطلقا القيام بمثل هذا العمل . وهنا فقد ايدن سيطرته على أعصابه ، ولم يعد يستطيع تحمل مسئولية القيادة مطلقا ، وصار يبدو دائما فى حالة من الاضطراب والعصبية الظاهرة . وانعقد فى لندن مؤتمر آخر فى ١٩ ، ٢٠ سبتمبر ، ووضع المؤتمرون تفاصيل مشروع انشاء جمعية المنتفعين بالقناة ، وأعلن قيام الجمعية رسميا فى اليـوم الاول من أكتوبر ، وأعلنت ١٥ دولة انضمامها للجمعية . ولكن انشاء الجمعية لم يؤد الى ما كان يريد ايدن ، فقد رفضت مصر الاعتراف بها ، كما رفضت التعاون معها بأى شكل من الاشكال . ولم تستطع بريطانيا وفرنسا عمل شىء لمصلحة الجمعية طالما أن الولايات المتحدة ، وكثيرا من الدول الاخرى ، كانت تدفع رسوم المرور للسلطات المصرية .

ومرت سبعة أسابيع على أعلان تأميم شركة القناة ، ووجدت فرنسا وبريطانيا انهما لم تخطوا خطوة واحدة الى الامام ، ولكنهما وجدتا نفسيهما فى وضع عسكرى يمكنهما من نيل ماتدعيانه من حقوق بايديهما . ولكن الرأى العام فى داخل بريطانيا نفسها وفى

خارجها كان قد تغير عما كان عليه حين أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم شركة القناة . كما ان مرشدى القناة المصريين أثبتوا مقدرتهم وكفايتهم ، وأظهروا للملأ ان مصر تستطيع تسيير الملاحة بالقناة والقيام بالزاماتها بموجب مؤتمر الاستانة عام ١٨٨٨ .
وكانت انتخابات الرئاسة فى أمريكا تقترب وكان كلما دناموعدها قل حماس الأمريكيين واهتمامهم بحلفائهم الغربيين ، وخاض ايزنهاور معركة الانتخابات وطلب من الامريكيين ان يجددوا انتخابه على أساس انه رجل السلام فى العالم فخاب ظن الحكومة البريطانية مرة ثانية . وكانت الحكومة البريطانية تظن أن معركة الانتخابات الامريكية ستجعل الحكومة الامريكية تقف الى جانب بريطانيا فى سياستها تجاه السويس ، لان الجمهوريين بحاجة الى كسب أصوات اليهود فى ولاية نيويورك . ولكن أيزنهاور وحزبه الجمهورى ضرب بأصوات اليهود عرض الحائط ، واعتمد على مكانة الحزب واحترامه بين الجماهير،وعلى سياسة السلام التى أعلن أنه بطلها ، وأمام هذه الظروف اضطر انتونى ايدن،وأجبر معه حليفته فرنسا ، على احالة القضية الى مجلس الامن ، والمعتقد ان يكون ايدن قد قصد من هذا العمل ان يلقى آخر سهم فى جعبته قبل استعمال القوة ، وربما اعتقد انه بالامكان كسب امريكا الى جانب بريطانيا فى حالة فشل مجلس الامن فى حل القضية . ولكن احالة القضية الى مجلس الامن كانت على كل حال مجازفة « فالفيتو » الروسى خطر دائم فى مجلس الامن ، ثم ما الذى ستتذرع به بريطانيا وفرنسا للتدخل فى مصر ، فى حالة عدم رضا الدولتين عن قرار مجلس الامن ، سوى هجوم اسرائيلى على مصر . .

مخلب القط فى العدوان على السويس :

ولكن ايدن كان ينظر الى الموضوع من زاوية معينة ثابتة ، كان إيدن على استعداد لمفاوضة مصر ، ولكن على أساس ان تضع بريطانيا نفسها شروط وأسس المفاوضات . وكان ايدن يعتقد أن أى تساهل مع مصر ، سيهدد كيان ومصالح بريطانيا ، فى أفريقيا وآسيا ،ولذلك فقد كان مستعدا ، بل ومصمما ، على استعمال القوة عند الضرورة .

وكانت وجهة النظر الامريكية ، تخالف تماما وجهة نظر ايدن واعلن دالاس فى مؤتمر صحفى ،قبل اجتماع مجلس الامن بثلاثة أيام فقط ، ان السياسة الامريكية تجاه مشكلة السويس تخالف السياسة الانجلو ــ فرنسية ، وأعلن كذلك ان الولايات المتحدة لاتوافق مطلقا على استخدام القوة . واتسعت الهوة بين الحلفاء الغربيين ، وانعقد مجلس الامن فى ٥ أكتوبر ، وفجأة أصيب ايدن بحمى شديدة أثناء زيارته لعقيلته المريضة فى المستشفى ، واضطر ايدن ان يبقى فى المستشفى ، وجرت معظم مناقشات مجلس الامن بصورة سرية ، واستمر الجفاء قائما بين لويد ودالاس بسبب تصريح الاخير فى ٢ اكتوبر . وبعد ثلاثة اسابيع من بدء اجتماع مجلس الامن ، سقط مشروع القرار الذى اقترحته بريطانيا وفرنسا الذى يقضى بان تدخل مصر فى مفاوضات جديدة ، على اساس القرار الذى اتخذته الدول الثمانى عشرة فى مؤتمر لندن وقد سقط هذا المشروع امام الفيتو الروسى .

وهنا لم يبق امام ايدن ومولبه سوى طريق واحد لمعالجة الازمة : التدخل العسكرى أما المغامرة العسكرية الكبرى التى كان يعدها انتونى ايدن وموليه ، فقد فقدت الدافع اليها ، لمهاجمة الاس لها وللمعارضة التى لقيتها داخل بريطانيا التى صورت للرأى العام أن حربا كهذه لايمكن ان يكون لها أى مبرر اخلاقى وصدرت الاوامر الى الجنرال كيتلى بالاستعداد للقيام بحملة عسكرية شتوية ، بينما ساءت صحة ايدن فى لندن الى درجة تدعو للقلق ، واشتد الضغط على موليه فى باريس للعمل ، حتى صرح امام الجمعية الوطنية بقوله : « انتظروا حتى نوفمبر » . وطار ايدن ولويد الى باريس فى ١٦ اكتوبر ، واجريا محادثات على غاية من السرية مع موليه وبينو ، ولم يحضر هذه المحادثات احد من المستشارين الدبلوماسيين والعسكريين ، وانما اقتصرت فقط على الوزراء الاربعة . وقد أثارت هذه المباحثات التى استغرقت ٥ ساعات قلق الرأى العام ، لما اكتنفها من غموض وسرية . وفى تلك الاثناء وبالاضافة الى الاستعدادات العسكرية التى كانت تقوم بها بريطانيا وفرنسا ، كانت الحكومة الفرنسية تقوم بترتيبات خاصة مع اسرائيل ، فقبل شهر من انعقاد الاجتماع الرباعى الآنف الذكر فى باريس ، ذهب ممثلان عن وزارة الدفاع الفرنسية الى اسرائيل واقترحا على الحكومة الاسرائيلية ، والعسكريين اليهود تقديم المساعدة الى اسرائيل فى حالة قيام الاخيرة بهجوم على مصر ولن تقتصر هذه المساعدة على تقديم الاسلحة والتأييد الدبلوماسى

وعاد المبعوثان الفرنسيان الى بلادهما يحملان خطة واسعة

النطاق . وكانت هذه الخطة تقضي بان يقوم سلاح الجو الفرنسي بدعم الهجوم الاسرائيلي ، كما يقوم الاسطول الفرنسي بحماية الشواطىء الاسرائيلية من الهجمات المصرية ، على ان تدعم العملية الفرنسية ـ اليهودية بتدخل أنجلو ـ فرنسي مباشر بشكل هجوم جوي وانزال الجنود في الاراضي المصرية . وقد حدد موعد يقع في أوائل نوفمبر لتنفيذ هذه الخطة . وبعد بضعة أيام أبلغت فرنسا بن جوريون ، أن على اسرائيل أن تشرع في عملياتها العسكرية في أواخر نوفمبر « في وقت تكون فيه الحكومة الامريكية منشغلة جدا بانتخابات الرئاسة بحيث لا تتمكن من القيام بأى عمل » . ولما أبدى بن جوريون شيئا من التحفظ حول موعد بدء العمليات قال المبعوث الفرنسي اما أن يكون هذا التاريخ ـ أو لا يكون هجوم أبدا . ولما قال بن جوريون « هل اعتبر هذا انذارا ؟ » كان الجواب « اذا شئت فاعتبره كذلك » .

من هذا يتبين بوضوح ان بريطانيا وفرنسا لم تستطيعا ايجاد أى مبرر سياسي للقيام بهجوم على مصر ، الا باستخدام اسرائيل للقيام بهجوم عليها حتى تتخذ الدولتان من هذا الهجوم ذريعة للتدخل عسكريا في مصر .

نزول المظليين اليهود في سيناء :

ولم تكن فكرة القيام باعتداء فرنسي اسرائيلي ضد مصر جديدة ، فقد جرت محادثات سرية بين فرنسا واسرائيل في مناسبات سابقة عديدة ، للقيام بخطة من هذا القبيل ، اذا كانت

العقلية الحاكمة فى فرنسا مهيأة للقيام بعمل كهذا ، لان فرنسا كانت تشعر بان مصر تؤيد الجزائر ، وتمدها بالمال والسلاح ، بالاضافة الى الدعاية . ولذلك ارادت ان تقوم بعمل انتقامى ضد مصر يضعفها من ناحية ، ويؤدى الى وقف المساعدات المصرية لسكان شمال افريقيا الثائرين ضد فرنسا من ناحية أخرى . ولهذا كثر ارسال الاسلحة الفرنسية الثقيلة الى اسرائيل فى الفترة التى سبقت حرب السويس . فى الوقت الذى كانت فيه بريطانيا تظهر ترددا فى تزويد اسرائيل بالسلاح . وشرع العسكريون الفرنسيون واليهود فى رسم خطط العمليات الحربية منذ اليوم الاول من اكتوبر ، فقام ممثلو وزارة الدفاع الفرنسية بزيارة اسرائيل عدة مرات ، كما أن موشى ديان رئيس الاركان اليهودية قام بزيارة باريس مرتين خلال شهر اكتوبر .

هذه الحقائق تثبت دون ادنى شك ان فرنسا واسرائيل كانتا متواطئتين ومتفقتين على العمل ضد مصر . وفى نفس الوقت كانت فرنسا دائبة على تنسيق خطة العمل المشترك ضد مصر مع حليفتها انجلترا ، واحتفظت فرنسا بتكتمها فى الخطة الفرنسية — الاسرائيلية الى ان علم بها المسئولون البريطانيون من وزراء وعسكريين فى اليوم العاشر من شهر اكتوبر . وفى اوائل شهر اكتوبر ، وقعت بعض الاشتباكات على الحدود الاردنية — اليهودية مما جعل الدول العربية المجاورة تعرض مساعدات عسكرية على الاردن .

وقام المستر ويست ليك ، القائم بالاعمال البريطانى فى تل

أبيب بابلاغ السلطات الاسرائيلية ان بريطانيا ستقف الى جانب الاردن فى حالة تعرضهـا لاى هجوم وفقا للمعاهدة المعقودة بين البلدين عام ١٩٤٨ ، وبموجب التصريح الثلاثى . وقد صـدر بلاغ عن مجلس الوزراء الاسرائيلى فى ١٤ اكتوبر يعلن عن «قلق ودهشة » الحكومة الاسرائيلية للتهديد البريطانى ، كما انتقـد بن جوريون بشدة موقف بريطانيا من مناقشات الكنسيت فى ١٥ اكتوبر . وفى اليوم التالى للاجتماع الرباعى الخاطف فى باريس وقف بن جوريون يخطب امام الكنسيت ويعلن ان مصر ماضيـة فى تهديد اسرائيل ، وان مصر هى عدو اسرائيل الحقيقى . وقال ان اسرائيل ستخوض المعركة هذه المرة فى داخل الاراضى المصرية اذا ماهوجمت من قبل مصر . وفى الساعة الرابعة من ظهر يوم الاثنين فى ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ انزلت وحدات من المظليين الاسرائيليين فى مكان يبعد ٤٠ ميلا الى الشرق من القناة « ممر متلا » وقـد قصد من هذا الانزال ان يكون « طعما » يجذب القوات المصرية الى صحراء سيناء . وكان نزول المظليين اليهود يشكل تهديدا استراتيجيا كبيرا للقناة نفسها ، فاخترقت القوات المصرية المرابطة عند « فايد » القناة شرقا للاشتباك مع اليهود الذين انضمت اليهم قوات مسلحة قدمت من ايلات والكونتيلا . وفى صبيحة يوم ٣١ اكتوبر دارت رحى معركة جوية كبيرة حول منطقة « ممر متلا » فقد قام المصريون بحوالى ٤٠ الى ٥٠ غارة جوية بطائرات الميج الروسية وطائرات الفامبير الانجليزية ، واستعمل الاسرائيليون

فى هذه المعارك الجوية طائرات « الميستير » الفرنسيةالتىزودت فرنسا اسرائيل بـ ٣٦ طائرة منها خلال شهر اكتوبر فقط .

وكانت الخطة الانجلو ـ فرنسية الاصلية تقضى ، كما ظهر فيما بعد ، باحتلال الاسكندرية حالا ، غير ان هذه الخطة قد غيرت بعد ذلك واستعملت « كخطة تغطية » للعمليات الحربية الجديدة ..

حسناوات تل أبيب يرفهن عن الطيارين الفرنسيين :

وتبين ان جميع الخطط الانجلو ـ فرنسية لعمليات حملة العدوان على السويس قد فشلت . وقد وقعت اشد المعارك الحربية عنفا فى هذه الحملة بالقرب من « أبو عجيلة » و « القصيمة » وكانت القوات الاسرائيلية معززة بحوالى ١٠٠ دبابة أمريكية وفرنسية . وها لابد ان نشير الى الدور الذى لعبته فرنسا فى حملة سيناء هذه ، فقد وصل الى اسرائيل فى الاسبوع الاخير من أكتوبر سربان جويان فرنسيان قوامهما ٣٦ طائرة من طراز «ميستير» كان يقودها طيارون فرنسيون ، وانضما الى الـ ٣٦ طائرة التى قدمتها فرنسا الى اسرائيل خلال الشهر نفسه . ولعبت الطائرات الفرنسية هذه ، وكان يقودها طيارون فرنسيون ، دورا كبيرا فى الحرب ، اذ قامت هذه الطائرات بعملية «الحماية الجوية» للقوات اليهودية التى كانت تزحف برا ، بالاضافة الى انها قامت بحماية المدن اليهودية نفسها من غارات الطائرات المصرية . وهذا يثبت دون اى شك التواطؤ الذى كان قائما بين فرنسا واسرائيل ضد

مصر ، والذى علمت به بريطانيا رسميا فى ١٠ اكتوبر عام ١٩٥٦ ووصل مؤلف هذا الكتاب « رندولف تشرشل » الى تل أبيب فى ٧ نوفمبر قادما من نيويورك بطريق لندن ، وهناك حضر حفلة صاخبة فى « فنــدق دان » اقامتها حسناوات تل أبيب للطيارين الفرنسيين الذين ساهموا مساهمة كبرى فى معارك سيناء . وقد شاهد المؤلف ذلك بنفسه .

١٦ ساعة فقط بين بريطانيا والحرب :

فى الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر اليوم الثلاثين من تشرين الاول ، كان انتونى ايدن يقف امام مجلس العموم فى لندن يعلن للنواب ان القوات الاسرائيلية الزاحفة فى سيناء أصبحت قريبة من شواطىء القناة ، وأن قتالا جويا وبريا يجرى على مقربة من القناة أو عند القناة نفسها . وبعد ساعات قلائل من مساءاليوم ذاته ، وقف المستر لويد يقول للنواب ، ان التقارير التى وصلتنا تشير الى ان القوات الاسرائيلية موجودة على بعد بضعة اميــال من القناة ، وانها ماضية فى تقدمها نحو السويس . ولكن هــذا الذى زعمه كل من ايدن ولويد لم يكن صحيحا ، فقــد كانت أقرب القوات اليهودية للقناة هى وحدات المظليين التى نزلت عند « ممر متلا » على بعد اربعين ميلا من القناة ، ولكن الحكومــة البريطانية كانت تعطى معلومات خاطئة للنواب وذلك لسببين : اما انها كانت تجهــل حقيقة الاوضاع ، أو أنها كانت تريد اخفــاء الحقائق حفظا لسلامة الخطط الحربية .

وفى اليوم الاول من تشرين الثانى ، قال المستر انتونى هيد وزير الدفاع لاغضاء مجلس العموم : « ليست لدينا معلومات مبـاشرة عن العمليات المصرية ــ الاسرائيلية . وتشير التقـارير الواردة حتى الان الى أن قوات المظليين اليهود متمركزة عـلى بعد كبير شرقى القناة » . وكان ايدن قد ابلغ المجلس فى اليوم السابق « ان القوات الاسرائيلية ماضية فى زحفها نحو القنـاة ، ومن الممكن ان تكون بعض الفرق اليهودية قـــد وصلت الى القناة » . وقد جعل هذا التناقض فى الاقوال الانذار الانجلو ــ فرنسى الى مصر ، يبدو عملا فيه الكثير من التضليل . فقد وجهت بريطانيا وفرنسا الانذار الى مصر ، وأعلنتا انهما ستعملان مافى وسعهما لوقف العمليات العسكرية المصرية ــ اليهودية ، كمـا أعلنت الدولتان عن عزمهما على فصل الفريقين المتحاربين . ولكن وفى نفس اللحظة التى كانت تعلن فيها هذه الكلمات ، كان سلاح الجو الفرنسى يقوم من قواعده فى قبرص بانزال البترول والذخيرة والمؤن للقوات اليهودية فى سيناء . فهل كان انتونى ايدن يجهل حقا ما كان يجرى فى قبرص ، مستعمرة التاج البريطانية ؟ . كان المفروض فى ايدن ان يعلم ذلك ، اذا لم يكن يعلم ، واذا كان ايدن على علم بهذا فلماذا لم يقل الصدق امام المجلس ، عندما نفى بشدة أن هناك تواطؤا بين فرنسا وبريطانيا واسرائيل ؟ وفى صباح اليوم التالى عقد السير انتونى ايدن جلسة للوزارة ضمت جميع الوزراء البريطانيين ، واستغرقت ساعتين ، احاط خلالها وزراءه علما بالخطة التى ينوى القيام بها . وحتى انعقاد هــذه

الجلسة للوزارة البريطانية ، لم يكن يعـلم بما كان ايدن ينوى الأقدام عليه ، سوى خمسـة من الوزراء هم : لويد وبتـلر وماكميلان واللورد سالزبورى وهيد . وعندما تلا ايدن نص الانذار الذى كان سيقدم لسفيرى مصر واسرائيل ، بعد ساعات قليلة ، ذهل بعض أعضاء الوزارة لانهم لم يكونوا يعلمون ان بينهم وبين الحرب مـدة ١٦ ساعة فقط وكانوا يشعرون انهم لايستطيعون بأى شـكل من الاشـكال التخلى عن مسئولياتهم الدستورية ، خلال فترة قليلة من الزمن كهذه الفترة . وعنـدما ابدى احد الوزراء تذمره من مباغتة ايدن لهم بهذا الشكل ، وعدم اعطاء فرصة لهم للتفكير ، جابهه ايدن قائلا والغطرسـة بادية عليه : « كثير من أعضـاء وزارتى الحاليين ، لم يسبق لهم ان اشتركوا فى وزارة حرب » مما جعل وزيرا آخر يقـول لايدن « حسنا يادولة الرئيس ، فنحن لم نكن نعلم اننا فى حالة حرب »

بدء الهجوم الجوى على بورسعيد :

وتلا هذه المناقشة الحادة فى مجلس الوزراء البريطانى صمت رهيب ، ولكن الوزراء الذين لم يكونوا راضين عن خطط ايدن لم يكن بوسعهم عمل شيء فى ذلك الوقت . فان الاستقالة من الوزارة فى الوقت الذى كانت فيه القـوات البريطانية البرية والبحرية والجوية فى ميادين القتال ، عمل لايقدم عليه أى انسان « وطنى » ، ولم يكن أمام الوزراء الذين كانوا ضد رأى ايدن سوى اربع ساعات على موعد تقـديم الانذار اذا ما ارادوا ان يتنصلوا أمام الرأى العام ، من العمـل الذى أقدم عليـه ايدن بانفسهم .

وقد م الانذار الانجلو فرنسى الى مصر واسرائيل ، وأعلنت اسرائيل قبولها له ، بعد اربع ساعات من تسلمها اياه ، كما جاء جواب مصر بالرفض بعد تسع ساعات . وبدأت بريطانيا هجومها على مصر بعد ١٥ ساعة من ارسال الانذار ، ويرجع سبب تأخر الهجوم البريطانى فى موعده ، الى ان بريطانيا كانت تعلم ان ١٥ طائرة ركاب امريكية ، كانت ستمر فى ذلك اليوم من مطارالقاهرة تحمل الرعايا الامريكيين الذين أجلوا عن مصر . وكانت الطائرات النفاثة من طراز « كانبرا » قد بدأت حينذاك بالتحليق فى الاجواء من مالطة وقبرص فصدرت اليها الاوامر بالعودة ثانية الى قواعدها حتى يتم مرور الطائرات الامريكية . وكانت الخطة العسكرية الانجلو ـ فرنسية تقضى بأن تقوم الطائرات البريطانية والفرنسية بقصف مصر بالقنابل مدة ستة ايام ، قبل القيام باى غزو ، وبدأت الغارات الجوية على مصر تتوالى . وكان انتونى ايدن يعتقد ان تحطيم مصر يمكن ان يتم بالقصف الجوى وحده ، ولا حاجة للقيام بعملية غزو لها ، ولا ضرورة لان يورط نفسه فى عمليات حربية برية فى الاراضى المصرية . وفى يوم السبت فى الثالث من نوفمبر قدم المستر انتونى هيد ، وزير الدفاع البريطانى ، الى قبرص فى رحلة تستغرق ١٧ ساعة . وكانت المهمة الموكولة اليه هى ان يتأكد بنفسه ، وبالتالى ليطلع مجلس الوزراء من بعد ، ان الخطط الانجلو ـ فرنسية قد نسقت من أجل العمل المشترك تنسيقا تاما . واجتمع المستر هيد فى قبرص صباح الاحد الباكر بالجنرال كيتلى قائد العمليات الانجلو ـ فرنسية المشتركة ، وبنائبه الاميرال بارجو ، وقد أطلعه القائدان على الخطة وقبل

راجعا الى لندن . وعندما وصل المستر هيد الى دارالرئاسةفىلندن بعد ظهر ذلك اليوم ، وجد هناك المسيو بينو ، وكان قد قدم من باريس فى الصباح مصطحبا معه ، ولاول مـرة ، وزير الدفاع الفرنسى المسيو بورجيس مونورى . وقـــدم المستر هيد لهما ولمجلس الوزراء البريطانى تقريرا وافيا عما شاهـده وسمعه فى قبرص . وفى الساعة السادسة والربع من مساء ذلك اليوم تلقى الجنرال كيتلى رسالة من لندن ، تطلب اليه ان يحدد اطول وقت ممكن لاتخاذ قرار بتأخير عمليات الانزال الجوية ، فيما اذا رؤى ان اتخاذ مثل هذا القرار امر ضرورى .

وكان جواب الجنرال « كيتلى » أن أقصى حد هو الساعـة الحادية عشرة مساء بتوقيت « جرينتش » وأضاف الجنرال كيتلى ان تأخيرا كهذا سيؤدى الى نتائج خطيرة جدا ويجب تجنبه بأى ثمن . وبالرغم من ان انتونى ايدن كان مايزال مترددا فى تنفيذ العمليات الحربية ، الا انه ، وبعد ان وصلت الامور الى الحـد الذى وصلت اليه ، كان مصمما على العمل مهما كانت النتائج .

وبعد الساعة العاشرة بتوقيت مصر من صباح اليوم الخامس من نوفمبر ، بدأ الهجوم الجوى على بورسـعيد وبور فؤاد بواسطة جنود المظلات . وقد لاقت عمليات الانزال هذه مقاومة شديدة .

ايدن يكذب فى مجلس العموم :

وفى نفس الوقت ، كان المستر سلوين لويد فى لندن يجيب على أسئلة النواب فى مجلس العموم ، وكانت جلســة المجلس

صاخبة جدا ، اذ جابهت المعارضة وزير الخارجية بالانباء التى تلقتها من وزارة الخارجية والتى افادت بان راديو قبرص ، قد وجه للمصريين اذاعات معادية فيها كثير من التهديد والوعيد بتدمير القرى المصرية ، وقتل النساء والاطفال والشيوخ والشبان اذا لم يجلو عن قراهم ومدنهم .

ووجد لويد نفسه فى موقف حرج امام النواب وحار جوابا ، فأخذ يردد عبارات « لا علم لى بذلك » و « سأهتم بمثل هذا الموضوع » وما شاكل ذلك من أقوال . وقد بلغ السخط بنواب المعارضين ان وقف المستر اندرين بيفان ، احد زعمائهم ، يصيح فى المجلس « لا تنوى الحكومة الكف عن كذبها أمام المجلس » . ودخل السير انتونى ايدن المجلس فى تلك اللحظة ، ليقرأ على النواب مضمون رسالة تلقاها من مركز القيادة العليا للعمليات الحربية المشتركة فى قبرص ، جاء فيها : « ان حاكم بور سعيد وقائدها العسكرى يجرى الان محادثات شروط التسليم مع الجنرال بتلر ، وقد صدرت الاوامر بوقف اطلاق النار » . الا ان ذلك لم يكن حقيقة ، فقد استمر القتال وكان قاسيا ومريرا ، وأخذت السيارات التى تحمل مكبرات الصوت تطوف شوارع بور سعيد لاستنهاض همم الاهالى ، ووزعت الاسلحة فى بور سعيد على المدنيين . واتضح للحليفتين بريطانيا وفرنسا أن القتال فى شوارع بورسعيد الضيقة سيستغرق وقتا طويلا ، وان الخطط المعدة لانزال الجنود من البحر فى اليوم التالى ستتعطل كما ان المدافع الروسية الجديدة المضادة للدبابات كانت تشكل خطرا كبيرا على القوات البريطانية .

وفى تمام الساعة الرابعة والدقيقة الاربعين من صباح اليوم السادس من تشرين الثانى ، كانت القوات الانجلو ــ فرنسية الرئيسية تنزل من البحر على شواطىء بور سعيد . وقد سبق نزولها الى الشاطىء القاء كميات هائلة من القنابل من الجو ، كما أطلقت المدمرات البريطانية نيران مدافعها من البحر ، وفى ساعات بعد الظهر دخلت القوات الانجليزية والفرنسية المدينة خلال مقاومة مصرية عنيفة جدا ، وفى تلك الليلة تلقت قيادة الحلفاء الاوامر بوقف اطلاق النار . لم يصدق الجنود الانجليز والفرنسيون كما لم يصدق الرأى العام فى البلدين الانباء التى وردت عن قبول بريطانيا وفرنسا قرار الجمعية العمومية لهيئة الامم بوقف اطلاق النار ، فقد بدا ذلك امرا فى غاية الغرابة ، اذ كيف تقدم الحليفتان على قبول قرار الجمعية بعد الاستعدادات الطويلة التى قامت بها .

وكانت الجمعية العمومية للامم المتحدة قد اتخذت قرارا بوقف اطلاق النار قدمته الكتلة الافريقية ــ الآسيوية فى الرابع من نوفمبر ، يدعو جميع الاطراف المعنيين الى وقف تحركاتهم العسكرية فى المنطقة . وقد وافقت على القرار ٥٩ دولة وعارضته خمس دول كما امتنعت ١٢ دولة عن التصويت . أما الدول التى عارضت القرار فهى بريطانيا وفرنسا واستراليا ونيوزيلندا واسرائيل . ورغم قوة القرار الذى اتخذته الجمعية بسبب كثرة الدول التى وافقت عليه ، فقد صممت الحكومتان البريطانية والفرنسية على المضى فى مغامرتهما العسكرية ، بالرغم من الوقع الكبير الذى تركه القرار فى نفوس أعضاء الوزارة ، اذ أخذ أربعة من الوزراء على الاقل يبحثون جديا فى موضوع تقديم

استقلالاتهم كما ان سمعة بريطانيا الادبية فى العالم تعرضت الى كثير من الانتقاد واللوم . ولكن ، ورغم هذا كله فقد ظلت الحكومتان ماضيتين فى غيهما واعتداءاتهما .

لماذا وافقت بريطانيا على ايقاف اطلاق النار :

والواقع أن كلا من الحكومتين البريطانية والفرنسية دخلتا الحرب دون ان يكون هناك أى خلاف فى الرأى بينهما ولو ظاهريا ، اذ كانتا تضمان عددا من الوزراء المعروفين بعنادهم وتصلبهم فى آرائهم ، وكان هؤلاء الوزراء لايرون مطلقا ، وبعد أن امتشقوا الحسام أثر مداولات ومشاورات استغرقت شهورا اعادة السيف الى غمده ، الا اذا كانت هناك أسباب قاهرة . فما الذى جعل الدولتين تقبلان بوقف اطلاق النار اذن ، بعد هذا التعنت الذى أظهرتاه وتشددتا به ؟ لقد تضافرت فى الواقع عوامل كثيرة لاتخاذ مثل هذا القرار ، وهذه العوامل هى :

المقاومة الشديدة التى ابداها الجيش والشعب المصرى فى وجه الغزاة ، والتهديد الروسى بالتدخل ، والخلاف الظاهر الذى بدأ فى داخل مجلس العموم البريطانى وبين صفوف الشعب البريطانى نفسه وهبوط قيمة الجنيه الاسترلينى الذى كان ينذر باخطار جسيمة .

هذه الاسباب مجتمعة أدت الى اتخاذ مجلس الوزراء البريطانى قرار الموافقة على وقف اطلاق النار . ولم ولم يقلق التهديد الروسى كثيرا من أعضاء الوزارة البريطانية ، اذ اعتبروه مجرد مناورة خداعة ، كما أن الوزارة لم تستطع التغاضى عن

ضغط المعارضة في مجلس العموم على الحكومة ، اذ أن أغلبية الشعب البريطاني لم توافق على قرار رئيس الوزراء بالتدخل العسكري في مصر . أما العامل المهم جدا الذي كان له تأثيره على جميع أعضاء الوزارة فهو العامل المالي الذي تعرضت له الخزينة البريطانية . ففي صباح الثلاثاء في السادس من نوفمبر نظر المستر ماكميلان ، وزير المالية ، الى خزينة الدولة قبل ذهابه الى مجلس الوزراء — فبدت له حقائق وأرقام مخيفة ، فقد علم أن الجنيه الاسترليني قد بدأ بالهبوط منذ أواخر اكتوبر ، ولكن هذا الهبوط أخذ يسير بسرعة تدعو للقلق منذ بدء الهجوم على مصر ، حتى وصل الجنيه الى دولارين و٧٨ سنتا . ولم يكن في استطاعة بنك انجلترا أن يحافظ على مستوى سعر الجنيه ، الا اذا حصل على كميات كبيرة من العملة الصعبة من الذهب والدولار — وكان البنك بحاجة الى ٣٠٠ مليون دولار على أقل تقدير لانقاذ عمليات ذلك اليوم فقط . وكانت أرصدة بريطانيا من الدولار والذهب ، قد نقصت في الاشهر الثلاثة الاخيرة نقصا كبيرا ، وظهر أن هناك عجزا قدره ٣٢٨ مليون دولار منذ شهر أغسطس وارتفع العجز الى ٢٠٠٠ مليون دولار أثناء عمليات السويس . وهنا كان لابد أن تعقد الحكومة البريطانية قرضا جديدا اما مع صندوق النقد الدولي أو مع أى مصدر آخر ، فاتصل المستر ماكميلان بواشنطون في الساعة الثالثة صباحا وقال : يجب أن تحصل بريطانيا على قرض في الحال قيمته ١٠٠٠ مليون دولار لانقاذ الجنيه الاسترليني من الانحطاط . وكان المستر جون فوستر دالاس في ذلك الوقت يقضي فترة نقاهة في المستشفى أثر

العملية الجراحية التى أجريت له فى أمعائه ، فانقضى بعض الوقت قبل وصول رد واشنطن . وفى تلك الاثناء اطلع المستر ماكميلان مجلس الوزراء على وضع بريطانيا المالى المخيف ، وبعد قليل ، وبينما كان مجلس الوزراء منعقدا جاء جواب واشنطن متضمنا أن الولايات المتحدة على استعداد لتقديم القرض اذا قبلت بريطانيا بقرار وقف اطلاق النار قبل منتصف الليل . وجعل هذا الجواب جميع أعضاء المجلس يقتنعون بضرورة الامتثال لقرار الامم المتحدة بوقف اطلاق النار . وأنقذ الجنيه الاسترلينى وبقى محافظا على قيمته (حوالى دولارين و٧٨ سنتا) التى وصل اليها حتى نهاية أزمة السويس ، اذ وافقت أمريكا على أن تضمن الحكومة بالقرض الذى طلبته من صندوق النقد الدولى وقيمته ٥٦١ مليونا ونصف المليون دولار ، كما حولت أمريكا فائدة القرض المستحق لها على بريطانيا فى ٣١ ديسمبر لمصلحة بريطانيا . وقيمة هذه الفائدة ١٠٠ مليون دولار ، هذا فضلا عما قامت به أمريكا من دعم القرض الذى طلبته الحكومة البريطانية منهنه وقيمته ١٠٠٠ مليون دولار . هذه هى العوامل الخفية التى عملت على ارغام الحليفتين على الامتثال لاوامر هيئة الامم المتحدة بوقف القتال ولكن ما هو أثر وقف اطلاق النار ؟

اقتراح يهودى رفضته القيادة الانجلو ـ فرنسية :

وماذا كان موقف القوات اليهودية تجاه هذه الاحداث ؟ فى الثالث من نوفمبر ، أى بعد خمسة أيام من بدء الهجوم على سيناء كان اليهود على مسيرة أميال قليلة من القناة ، نتيجة لصدور

الاوامر للقوات المصرية بالانسحاب الى غرب القناة لمواجهة الغزو الانجلو ــ فرنسي الذى كان متوقعا ، ولم تكن العمليات الانجلو ــ فرنسية قد بدأت بعد . فاقترحت القيادة اليهودية أن يرتدى اليهود اللباس العسكرى الفرنسى ويقوموا باحتلال القناة . وتدعى فرنسا بعد ذلك أن قواتها قد حققت أحدأهدافها من الحملة . ولكن القيادة الانجلو ــ فرنسية رفضت هذا الاقتراح خشية اتهامها بالتواطؤ مع اسرائيل . ثم اقترح أن تقوم القوات المظلية الانجلو ــ فرنسية بالنزول خلف المواقع التى تحتلها قواتهم ، ثم تتقدم هذه القوات الانجلو ــ فرنسية وتحتل القناة ، بينما تقوم القوات اليهودية بالانسحاب . ورفضت القيادة الفرنسية هذا الاقتراح أيضا خوفا من اتهامها بالتواطؤ . . واقترحت القوات اليهودية للمرة الثالثة أن تقوم هى باحتلال الاهداف الانجلو ــ فرنسية أى بورسعيد والاسماعيلية والسويس ، مما يشكل منطقة القناة بأسرها ، ثم تتدخل القوات الانجلو ــ فرنسية فتقوم القوات اليهودية بتسليمها هذه المواقع . ورفضت القيادة الانجلو ــ فرنسية للمرة الثالثة هذا الاقتراح . والسبب الذى جعل الحليفتين ترفضان مقترحات اليهود الثلاثة هو الانذار الذى قامتا بتقديمه الى مصر واسرائيل ، فقد تظاهرت الدولتان بالغضب فى انذارهما نتيجة الهجوم الاسرائيلى ، وطلبتا من مصر واسرائيل التوقف ، فكيف يمكنهما الآن أن تقبلا باقتراحات اليهود ؟ أن ذلك سيفضح صراحة مؤامراتهما وتواطؤهما مع اسرائيل ، وكان بريطانيا لم يفضح تواطؤها علنا مع فرنسا واسرائيل ، عندما سمحت للقوات الفرنسية بالقيام بمد اليهود جوا بالمؤن والسلاح

من القواعد البريطانية فى قبرص ، فى الوقت الذى كانت فيه بريطانيا تقدم انذارها الى مصر واسرائيل . اذ ربما ظنت بريطانيا أن أمر هذا التواطؤ الاخير لن يفتضح . أما الآن ، وأنظار العالم كله متجهة نحو العمليات العسكرية فى مصر ، فان تواطؤا جديدا سيفتضح أمره فى الحال . لسنا نعلم بالتأكيد العوامل التى دعت الحليفتين الى عدم قبول المقترحات اليهودية ، وقد يتولى السير أنتونى ايدن الكشف عنها فى المستقبل عندما ينشر مذكراته ؟
والآن وقد أوشكت القصة على النهاية ، يجد الكاتب نفسه أمام عدد من المصاعب عندما يحاول أن يبين أوجه الخطأ فى حملة السويس . فالكاتب ، مثله كمثل الكثير من الناس ، يشعر بأنه مضطر الى أن يغير آراءه التى أعلنها فى تشرين الاول عام ١٩٥٦ حول الحملة ، واليوم يعتقد كثير من السياسيين والكتاب أن الحملة كانت خاطئة ، مع انهم كانوا يؤيدونها صراحة عام ١٩٥٦ . فلو اننا نعلم بالسخافة التى أعدت بها الحملة ، ولو أننا استطعنا أن نكتشف التدليس والخداع اللذين انطوى عليهما الانذار الانجلو — فرنسى . ولو اننا علمنا أن الحكومة أخطأت آنئذ فى تقدير رد الفعل الامريكى . ولو أننا علمنا أن الحملة كان يجب أن ينصرف النظر عنها خلال ٣٦ ساعة نتيجة هذا التقدير الخاطىء . لو علمنا بهذه الامور لوقف الكثيرون ممن أيدوا الحملة آنئذ غير الموقف الذى وقفوه . وحتى يومنا هذا ، نجد الكثيرين من الناس فى جميع أنحاء العالم ، من الاصدقاء والاعداء على حد سواء ، يبدون حيرتهم ودهشتهم ويتساءلون « ألم يكن بامكان الحكومة البريطانية أن تستمر فى عملياتها الحربية فى

السويس مدة أطول حتى لاتضيع ثمار الجهـد الذى حققته ؟ »
الا أن هؤلاء المتسـائلين لم يكن يدور بخلدهم أو تقـدير هم
ما لاقته القوات الغازية من مقاومة عنيفـة من الجيش والشعب
المصرى وتصميم المصريين جميعـا بل والعرب فى جميـع ارجاء
الوطن العربى على القتال الى آخر قطرة من دمهم . وقام الشعب
السورى بنسف أنابيب البترول الممتدة من كركوك الى سـاحل
البحر الابيض مارة بالاراضى السـورية والتابعة لشركة البترول
العراقية ـ البريطانية مما أدى الى حـدوث أزمة وقود عنيفة فى
بريطانيا وسائر غرب أوربا .

تغيير الخطط العسكرية ١٧ مرة :

وثمة نقطة أخرى تجدر الاشارة اليها الآن ، وهى أن القادة
العسكريين البريطانيين كانوا لا يعرفون بالضـبط كفاية القوات
المصرية ، ضباطا وجنودا ونظاما وتسليحا . أما خطـة العمليات
الحربية فقد كانت ضخمة فى المستوى الذى رسمت به وفى السرعة
التى نفذت بها ، فقد كان عمل القادة العسكريين نموذجا للعمـل
فقد أعدوا مواعيـد العمليات والشحن ، كمـا قدروا النواحى
الاستراتيجية العسكرية ببعض الدقة والاتقان . ولكن لم يترك
لهم حرية العمل ، فقـد كان السياسيون يتـدخلون بين لحظـة
وأخرى فى أعمالهم الفنية الصرف ، حتى اضطروا لتغيير الخطـة
العسكرية التى رسموها لحملة السويس رأسا على عقب . وكانت
الخطة العسكرية التى وضعها القـادة العسكريون تتطلب انذارا
مدته عشرة أيام قبل الشروع فى العمليات الحربية الفعلية ، وهذا

م آثره العسكريون منذ أن بداوا يرسمون خططهم فى شهر اغسطس ، ولكن تدخل السياسة الدائم فى أعمال العسكريين جعلهم يغيرون خططهم ١٧ مرة . كما أن أخطاء كثيرة ارتكبت كان أفظعها عدم القيام ببناء ميناء جديد فى قبرص ، يستوعب جميع السفن الحربية اللازمة ، أو على الاقل عدم القيام بتوسيع أحواض الموانىء الموجودة فى الجزيرة لتستوعب عددا كبيرا من السفن . وقد جعل هذا الامر القادة العسكريين يعتمدون فى خططهم الحربية على موانىء الجزائر ومارسيليا ومالطة ، وهذا يعنى انه يجب أن تنقضى عشرة أيام بين صدور الامر بالقتال وبين وصول الجنود القادمين بحرا الى البر المصرى . كان بالامكان التغلب على هذه الصعوبة لو أن العسكريين رسموا خطة أخف وأسرع وأكثر جراة ومرونة من الخطة التى وضعوها . وقد ابدى أحد النقاد الفرنسيين ملاحظة تنطبق على الواقع حين قال « يجب أن يتم اعلان الحرب بسرعة » . ولكن الفشل فى اتباع خطة كهذه كان خطأ القادة العسكريين وليس السياسيين . ولقد أساء السير ولتر مونكتون والمستر انتونى هيد توجيه السيرانتونى ايدن ، فجعلاه يقع تحت تأثير قادته العسكريين. ومهما يكن من أمر ، فان السياسيين يتحملون قسطا من اللوم لانهم بدلا من أن يحثوا القادة العسكريين على اتباع خطة حربية سريعة حازمة ، اخذوا يضعون العراقيل أمامهم كما أظهروا ترددا وابتعادا عن كل حزم . ويتحمل السير أنتونى ايدن جزءا كبيرا من المسئولية فى هذا المضمار ، لانه لم يكن يستطيع السيطرة على أعصابه . ولو كانت القيادة فى بريطانيا فى أيد حازمة فى ذلك الوقت ، لاتبعت سياسة التقييد والتقتير وتوزيع المواد الرئيسية « بالبطاقات » فور اعلان مصر تاميم قناة السويس ، ولتمكنت بريطانيا من مواجهة الازمة وحالة الطوارىء ، وهى تملك مخزونات ضخمة من المؤن ، ولكان احتياطيها من الدولار كبيرا . هذا بالاضافة الى أن اتباع سياسة كهذه من ناحية نفسية يشعر الشعب البريطانى بما هو مقدم عليه ، وفى نفس الوقت يقدم خير دليل وبرهان للامريكيين على خطورة الوضع ، كما أن اتباع سياسة كهذه كان يمكن ان يجعل الرئيس جمال عبد الناصر يتحقق من هول الضربة التى وجهها لبريطانيا . فلو وزع البترول بالبطاقات مثلا فور اعلان التأميم لكان بيد بريطانيا ورقة رابحة لها أبلغ الاثر منذ البداية . وان أكبر اتهام يوجه للحكومة فى ذلك الوقت هو أنها ذهبت الى فراشها ونامت وفى يدها تلك الورقة الرابحة ، ثم ابرزت تلك الورقة بعد ان خسرت اللعب . أما اقدام

السير انتونى ايدن على تغيير عدد من الوزراء الرئيسيين فى أحرج الاوقات ، وعندما كانت الخطة الحربية فى أخطر مرحلة من مراحل الاعداد ، فانه لم يحسن يومئذ تقدير الوضع العسكرى ، ولا الوضع السياسى ، كما انه لم يكن لذلك العمل أى أثر فى رفع معنويات الوظفين العسكريين أو المدنيين . وسرت الاقوال والشائعات عن ايدن فى ذلك الوقت انه أصبح رجلا لايستقر على رأى ولا يستطيع ضبط أعصابه كما انه كثير التدخل فى شئون الغير ولا يتركهم وشأنهم . والواقع ان أنتونى ايدن ينطبق عليه تماما ما كتبه عنه أحد الكتاب فى ذلك الوقت وجاء فيه : « ان السير انتونى ايدن بطىء جدا فى تكوين رأيه ، ولكنه سرعان ما يغير هذا الرأى » .

سقوط مفاجىء بعد ارتفاع تدريجى

وقد أبدى عدد من الوزراء ، داخل مجلس الوزراء وخارجه ، اعتراضات كثيرة على المراحل المختلفة التى مرت بها الازمة ، وفى النتيجة قدم اثنان من الوزراء استقالتهما ، وهما المستر انتونى ناتنج وزير الدولة للشئون الخارجية ، والسير أدموند بويل وزير الخزانة . وقد استقال ناتنج فى ٣١ نوفمبر ، وبويل فى ٤ ديسمبر ولكن استقالة الاول أعلنت فى ٤ ديسمبر كما أعلنت استقالة الثانى فى ٦ ديسمبر ، وقد كتب المستر ناتنج فى كتاب استقالته ما يلى : « لقد نصحت الحكومة بكل ما أوتيت من قوة بأن لاتقدم على تنفيذ القرارات والاعمال التى أقدمت عليها ، ولا أستطيع أن أدافع بأى صورة من الصور عن القرار الذى أقدمت عليه الحكومة » . وهذا الذى كتبه ناتنج يبدو غريبا ، ويناقض ما كان قد أعلنه فى مؤتمر حزب المحافظين قبل ثلاثة أسابيع حين قال : « اذا لم تقم الامم المتحدة بالواجب الملقى على عاتقها ، فسنقوم نحن بالقيام بواجبنا ، وانني أعتقد أن هذا البلد لن يتقاعس مطلقا عن العمل اذا ماحزب الامر وجد الجد » . وكان هناك استقالة أخرى ، أقل فى مستواها من الاستقالتين . فقد استقال المستر وليم كلارك مستشار رئيس الوزراء للعلاقات العامة ، والمستر كلارك صحفى نشيط قدير ، عمل فترة من الزمن مذيعا وموظفا فى مكتب الانباء ، كما كان يقوم بوظيفة محرر الشئون الخارجية فى جريدة « الاوبزرفر » خلال السنوات الاربع التى سبقت توليه منصب مستشار الرئيس للعلاقات العامة.
وكان كلارك هذا يحمل آراء المعارضة ، رغم أن عمله فى دار الرئاسة كان يتعلق بالحكومة وليس له أى علاقة بالدعاية الحزبية . وكان

بعض اصدقاء السير انتوني ايدن يعتقدون أن تعيين كلارك فى منصبه هذا كان تعيينا خاطئا . لان السياسيين من كلا الحزبين الحاكم أو المعارض يصبحون موظفى الدولة وينسون ، أو يجب أن ينسوا ، حزبيتهم السابقة بالمرة ، فمتى أصبح السياسى احد موظفى الدولة ويجب عليه أن يعود نفسه على أن يقوم بتنفيذ واجباته بكل أمانة واخلاص بغض النظر عن الحزب الذى يكون فى الحكم . وان أى وزير يقوم بتعيين شخص فى سلك الخدمة المدنية العامة ، ومعروف صراحة بانه من أصحاب الآراء التى تخالف آراء الوزير يقدم على مجازفة ليست ضرورية . ولنعد الآن للسير انتونى ايدن . فقد انكر ايدن علنا وبصورة خاصة ، للمقربين من أصدقائه انه كان على علم سابق بالهجوم الاسرائيلي على مصر . ومع أننا نحب أن نصدق ايدن فيما يقول ، لكننا فى نفس الوقت يجب أن نسأل : « لماذا لم يعلم رئيس الوزراء بذلك » فان من واجب رئيس وزراء بريطانيا الذى يريد ان يورط بلاده فى حرب ، أن يكون على علم تام بمايجرى حوله . قد يكون السير انتونى ايدن فضل أن لايعلم بسبب درايته ومرانه السياسى ؟ وعلى كل حال فمن المحتمل جدا أن بعض زملائه الوزراء فضلوا أن لايكون على علم بذلك . أما التواطؤ بين اسرائيل وفرنسا وانجلترا ، فأمره ظاهر جلى ، ولا يمكن ان يتطرق اليه أدنى شك . اما أن هذا التواطؤ لم يؤد الى النتيجة التى كانت متوقعة . ومن الجائز فى نظر انصار ايدن أن يكون سببه هو عدم علم ايدن به (؟) . ولايمكن بصورة من الصور ان نلقى ضوءا واضحا على أوجه الخطأ والصواب . فى حرب السويس ، الا اذا وضعنا نصب اعيننا دائما أن ايدن كان رجلا مريضا طوال مدة الازمة ، اما مرض ايدن فيرى الكاتب اعتبـاره مأساة قومية بالاضافة الى انه مأساة شخصية . فمن سوء حظ بريطانيا ان ايدن كان فى ذلك الوقت مريضا . وكان بعضهم مرتابا فيما اذا كان ايدن يستطيع تسيير دفة الامور اثناء الازمة حتى ولو لم يكن مريضا ، ولكن ، ومهما القيام به وهو مصاب بضعف جسمانى وانهيار سياسى ، ولايستطيع اى انسان أن يقرأ تاريخ حياة ايدن ـ كيف وصل الى القمة بالتدريج وبعناية وحرص ، وكيف سقط فجاة ، الا ان يرثى لحاله ، ولكن من الخطأ بل كل الخطأ ، ان نجعل حياة فرد ، مهمـا يكن عظيمـا ، تعادل فى الميزان الاضرار الفادحة التى الحقها هذا الفرد بأمته ـ فشتان بين مصلحة شخص واحد ومصلحة امة بأسرها .



الدار القومية للطباعة والنشر

شركة ذات مسئولية محدودة

٣٠ شارع منصور ــ القاهرة

ص . ب . ٢٣٩٨



إعلان الشركة الشرقية "إيسترن كومبانى" ش.م.م. [illegible] جنيه

هيئة قناة السويس

سيارات الهيئة والطريق الخاص بها

تملك هيئة قناة السويس عددا من السيارات المختلفة الانواع تستخدمها فى انجاز أعمالها ، فبعض هذه السيارات مخصص لنقل المرشدين بين المدن الثلاث والعودة بهم الى أماكن اقامتهم بعد الانتهاء من مهامهم ، وبعضها مخصص لنقل المهندسين والعمال الى مواقع العمل على القناة ، وبعضها الآخر يستخدم فى نقل أفراد السلك البحرى الى مواقع الحوادث لادارة عمليات الانقاذ .

وهناك أيضا سيارات مخصصة لنقل مواد التموين بين المدن الثلاث والى مواقع العمل على القناة ، كما أن سيارات أخرى تخصص لاعمال الخدمات العامة كالنظافة والرش فى مدينتى بور توفيق وبور فؤاد أو لنقل الطلبة للمدارس .

وتملك الهيئة طريقا بريا يسير فى محاذاة القناة ويربط بين عواصم محافظاتها الثلاث . وكان قد أنشىء هذا الطر أصلا لمرور السيارات التى يستعان بها فى أعمال الهيئة يكفل لها سرعة الاتصال بين مختلف أقسام المرفق . وتشـ الهيئة على هذا الطريق اشرافا تاما وتعتمد سنويا ميزانـ خاصة لمواجهة تكاليف صيانته واصلاح ما قد يتلف من أجزا وتستمر هذه الصيانة على مدار العام حتى لا يطرأ على الط أى عطب من شأنه أن يؤثر فى دولاب العمل .

الكتاب ١٣٧ الثمن ٣ قروش

صدر يوم الاحد ١٣ ديسمبر (كانون أول) سنة ١٩٥٩